الروض البهيج
فى
تفسير سورة البروج

د/ محمد طنطاوى
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد
في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله حمداً طيباً كثيراً مباركاً فيه....والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه وتابعيه....

فهذا بحث فى تفسير البروج سميته " الروض البهيج فى تفسير سورة البروج " وهو تفسير تحليلى وموضوعى للسورة الكريمة، سرت فيه حسب ترتيب الآيات فى السورة واستقيته من عيون المراجع القديمة والحديثة، وهذبته بأسلوب قريب وجعلته وسطاً بين التطويل الممل والتقصير المخل... وأبنت فيه ما يحتاج إليه وروح الدين ويتفق مع نصوص الكتاب المبين... وقسمت السورة الكريمة إلى موضوعات تيسيراً على القارىء، وتوضيحاً لأهداف ومقاصد السورة المباركة...وربطت بين الموضوعات بذكر المناسبات ودونت – فى الهوامش – إعراب السورة كاملة، لتتم الفائدة، والإعراب فرع المعنى، وبعد الانتهاء من تفسير السورة المباركة ذكرت بعض ما اشتملت عليه من أحكام، ولم أغفل ذكر النكات البلاغية... إلى ذلك مما يعين على فهم المعنى، وبلاغة الأسلوب، وفصيح العبارة...وهذا ما أوردته فى نهاية البحث.

هذا ما أقدرنى الله تعالى عليه، ووفقنى إليه، ولا يحيط بمعانى القرآن العظيم إلا الله تعالى ومن ألهمه الحكمة وفصل الخطاب وبالله التوفيق والسداد.

يجدر بنا قبل البدء فى تفسير السورة المباركة الإشارة إلى أشياء تتعلق بالسورة من حيث الاسم، والنزول، والترتيب، وعدد الآيات، والمناسبة بين السابقة واللاحقة، والمقاصد والأهداف...

حتى يكون القارىء على بينة من أمرها...فيتعايش معها، ويقف على أهدافها ومراميها...

اسم السورة:

روى الإمام أحمد – فى مسنده – عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يقرأ فى العشاء الآخرة بالسماء ذات البروج (١).

وهذا ظاهر فى أنها تسمى ﴿ السماء ذات البروج ﴾ لأنه لم يحك لفظ القرآن، إذ لم يذكر الواو وأخرج – أيضاً – عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ أمر أن يقرأ فى العشاء بالسماوات، أى: السماء ذات البروج والسماء والطارق (٢).

وهذا يدل على اسم السورتين ؛ سورة السماء ذات البروج، والسماء والطارق. وسميت فى المصاحف وكتب السنة وكتب التفسير "سورة البروج "(٣).

وزاد السيوطى – رحمه الله –: وأخرج الطيالسى وابن أبى شيبة – فى المصنف – وأحمد والدارمى وأبو داود والترمذى – وحسنه – والنسائى وابن حبان والطبرانى والبيهقى – فى سننه – عن جابر بن سمرة: أن النبى ﷺ كان يقرأ فى الظهر والعصر بالسماء والطارق والسماء ذات البروج وأخرج سعيد بن منصور، عن جابر ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ ﷺ: اقرأ بهم فى العشاء بـ ﴿ سبح اسم ربك الأعلى، والليل إذا يغشى، والسماء ذات البروج ﴾.

وقد سميت بهذا الاسم: لاستهلالها بقسم من الله تعالى يقول فيه "

---

(١) مسند الإمام أحمد

(٢) مسند الإمام أحمد

(٣)التحرير والتنوير – للطاهر بن عاشور – ٢٣٦/٣٠، وذكر ابن كثير فى تفسيره ٤٩١/٤ ط الحلبى وذكرها السيوطى فى الدر المنثور ٥٥١/٦ ط ١ ١٩٩٠ م – دار الكتب العلمية – بيروت حدائق الروح والريحان ٢٨٣/٣١.

والسماء ذات البروج " وكلها محكمة، لا ناسخ ولا منسوخ فيها[١].

نزول السورة:

أخرج ابن الفريس والنحاس والبيهقى وابن مرويه عن ابن عباس ﷺ قال: نزلت " والسماء ذات البروج " بمكة.

والسورة مكية بالإجماع، ولا خلاف فى مكيتها...وهى مكية بشهادة سياقها، وهى السورة السابعة والعشرون فى تعداد نزول السور، نزلت بعد سورة " والشمس وضحاها " وقبل سورة " التين "[٢].

وترتيبها فى المصحف: بعد سورة الانشقاق، وقبل سورة الطارق، وهى السورة الخامسة والثمانون.

عدد آياتها:

السورة الكريمة اثنان وعشرون آية – بعد البسملة – ومائة كلمة وتسع كلمات، وأربعمائة وثمانية وخمسون حرفاً[٣].

---

(١) الدر المنثور ٥٥١/٦.

(٢) ينظر: الدر المنثور ٥٥١/٦، التحرير والتنوير ٢٣٦/٣٠، روح المعانى ٣٠/ ١٠٨ ط – دار الفكر، تفسير البيضاوى ٥٨٤/٢ ط١ ١٩٨٨ م – دار الكتب العلمية، تفسير أبى السعود ١٣٥/٩ ط دار إحياء التراث العربى – بيروت، تفسير القرطبى ١٩/ ١٨٧ ط ١ ١٩٨٨ م دار الكتب العلمية، تفسير ابن كثير ٤٩١/٤ ط الحلبى، الكشاف ١٩٩/٤ ط دار المعرفة / بيروت، فتح القدير ٤١٠/٥ ط دار الفكر، تفسير الطبرى ١٢٧/٣٠ ط ١٩٨٨ م دار الفكر، فى ظلال القرآن ٣٨٧١/٦ ط ١١ ١٩٨٢ م دار الشروق، حدائق الروح والريحان فى روابى علوم القرآن – محمد الأمين العلوى ٢٨٣/٣١ ط دار طوق النجاة.

(٣) ينظر: مراح لبيد – تفسير النووى ٤٣٦/٢ ط الحلبى، التفسير القرآنى للقرآن عبد الكريم الخطيب ١٥١١/١٦ ط دار الفكر العربى، التفسير الشامل د/ أمير عبد العزيز ص ٣٥٣٥ ط ٢٠٠١ م دار السلام بالقاهرة، مجمع البيان للطبرسى ٧٠٣/٩ ط ١٩٨٦ دار المعرفة – بيروت، حدائق الروح ٢٨٣/٣١ وعدد حروفها (خمسة وستون وأربعمائة حرف).

مناسبة السورة لما قبلها: [١].

لما كانت المناسبة أمراً معقولاً، اجتهد المفسرون مناسبات بين السور والآيات، ومما ذكر هنا،

- يقول العلامة البقاعى: لما ختم تلك - يعنى سورة الانشقاق - بثواب المؤمن وعقاب الكافر والاستهزاء به، بعد أن ذكر أنه سبحانه أعلم بما يضمر الأعداء من المكر، وما يرمون من الأفكار للأولياء، وتوعدهم بما لا يطيقون، وكانوا قد عذبوا المؤمنين بأنواع العذاب، واجتهدوا فى فتنة من قدروا عليه منهم، وبالغوا فى التضييق عليهم، حتى ألجؤوهم إلى شعب أبى طالب وغيره من البروج فى البلاد، ومفارقة الأهل والأولاد.

ابتدأ هذا بما وقع بأهل الجبروت ممن تقدمهم، على وجه معلم أن ذلك الإيقاع منه سبحانه قطعاً، ومعلم أن الماضين تجاوزوا ما فعل هؤلاء إلى القذف فى النار، وأن أهل الإيمان ثبتوا وذلك تسلية للمؤمنين وتثبيتهم، وتوعيد الكافرين وتوهينهم وتفتينهم.

فقال مقسماً لأجل إنكارهم وفعلهم فى التمادى فى عداوة حزب الله فعل المنكر، أن الله ينتقم لهم، بما يدل على تمام القدرة على القيامة[٢].

---

(١) المناسبة: هى أمر معقول، إذا عرض على العقول تلقته بالقبول.

ومن فوائد معرفة المناسبة بين السور والآيات:

١- أن ترتيب القرآن الكريم - كما هو فى المصحف الشريف - توفيقى إذ لو كان بالاجتهاد لما حصلت المناسبات.

أن القرآن الكريم محفوظ - بحفظ الله تعالى - وهو الآن كما نزل إذ لوحدث فيه - لاقدر الله - شىء من الزيادة أو النقصان، لما وجدت تلك المناسبات.

(٢) نظم الدر فى تناسب الآيات والسور - للبقاعى - ٣٧٨/٨ ط ١ ١٩٩٥ م - دار الكتب العلمية يقول البقاعى: مقصودها الدلالة على القدرة على مقصود الانشقاق الذى هو صريح آخرها، من نتعيم وتعذيب الشقى، بمن عذبه فى الدنيا، ممن لا يمكن فى العادة أن يكون عذابه ذلك إلا من الله وحده، تسلية لقلوب المؤمنين، وتثبيتاً لهم على أذى الكافرين. وعلى ذلك دل اسمها (البروج) بتأمل القسم والمقسم عليه، وما هدى ذلك السياق إليه.

- وأنه باشتمالها كالتى على وعد المؤمنين ووعيد الكافرين، مع التنويه بشأن القرآن، وفخامة قدره.

- وأنه سبحانه لما ذكر أنه - جل وعلا - أعلم بما يجمعون لرسوله ﷺ والمؤمنين من المكر والخداع، وإيذاء من أسلم بأنواع من الأذى، كالضرب والقتل والصلب، والحرق بالشمس، وإحماء الصخر ووضع أجساد من يريدون أن يفتنوه عليه، ذكر سبحانه أن هذه الشنشنة كانت فيمن تقدم من الأمم، فكانوا يعذبون بالنار، وأن المعذبين كان لهم من الثبات فى الإيمان ما منعهم أن يرجعوا عن دينهم، وأن الذين عذبوهم ملعونون، فكذلك الذين عذبوا المؤمنين من كفار قريش.

فهذه السورة غطة لقريش، وتثبيت لمن يعذبونه من المؤمنين.

- ختم الله تلك السورة - أى الانشقاق - بذكر المؤمنين، وافتتح هذه السورة أيضاً بذكر المؤمنين من أصحاب الأخدود [١].

مناسبة السورة لما بعدها:

لما ذكر سبحانه وتعالى فى سورة الانشقاق تكذيب الكفار للقرآن، نبه تعالى شأنه على حقارة الإنسان، ثم استطرد - جل وعلا - منه إلى وصف القرآن، ثم أمر سبحانه نبيه ﷺ بإمهال أولئك المكذبين [٢].

- ويقول السيوطى: " سورة البروج والطارق " هما متآخيتان فقرننا، وقدمت الأولى لطولها، وذكرا بعد الانشقاق للمؤاخاة فى الافتتاح بذكر السماء، ولهذا ورد فى الحديث: ذكر السموات مراداً بها السور الأربع، كما قيل للمسبحات [٣].

---

(١) ينظر: روح المعانى ١٠٨/٣٠، البحر المحيط ٤٤٩/٨ ط ٢ ١٩٨٣ م دار الفكر، الفتوحات الإلهية ٥١٢/٤، دار المنار بالقاهرة، حدائق الروح ٢٨٣/٣١، مجمع البيان ٧٠٣/٩.

(٢) ينظر: روح المعانى ١١٠/٣٠، البحر المحيط ٤٥٤/٨.

(٣) أسرار ترتيب القرآن للسيوطى ص ١٤٩، دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا ط ٢ ١٩٧٨ - دار الاعتصام.

- ويذكر صاحب الجواهر - فى سلسلة ذكر المناسبات - فيقول رحمه الله: بين سورتى المطففين والانشقاق يقول: وزاد ذلك إيضاحاً بما جاء فى سورة الانشقاق، من أن الإنسان يسعى حثيثاً فى الحياة، ولكن نتيجة ذلك كله أنه يلاقى ربه فيوفيه حسابه. وبين سورتى الانشقاق والبروج يقول: وفى سورة البروج تذكير الناس بمن يؤذون المؤمنين والمؤمنات، وكيف يتعدى قوم ممن أنعم الله عليهم بالحياة والصحة فيسيئون إلى من أطاعوا خالقهم، ذلك غاية الخسران.

وبين سورتى البروج والطارق يقول: إن الرحمة هنا تجلت فى السماء ونجومها، والنفوس وحفظها، وكيف تصير النطفة إنساناً تاماً إلا بحفظ وتمكين وحراسة من كل غائلة، إن العوالم المحيطة بالإنسان كلها نعم عليه، فهل يترك سدى، بل يحاسب على النقير والقطمير (١)

حكمة نزول السورة:

نزلت هذه السورة لتثبيت المؤمنين على إيمانهم، وتصبرهم على أنه الكفار، وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الإيمان، وتصبرهم على ذلك حتى يأنسوا بهم، ويصبروا على ما كانوا يلقون من أقوامهم، ويعلموا أن هؤلاء بمنزلة أولئك المعذبين، ملعونون مثلهم (٢).

مقاصد السورة وأهدافها:

أنزل الله تبارك وتعالى كتابة الكريم مقسماً إلى مائة وأربع عشرة سورة، ومن حكم هذا التقسيم أن يكون لكل سورة هدف أصيل ترمى إليه، وهو ما يسمى بموضوعات السورة..فضلاً عن الاشتراك فى الهدف العام

---

(١) الجواهر فى تفسير القرآن الكريم ٤/٢٣ - الشيخ طنطاوى جوهرى ط ٤ ١٩٩١ م دار إحياء التراث العربى - بيروت.

(٢) ينظر: الفتوحات الإلهية ٥١٢/٤، تفسير أبى السعود ١٣٥/٩ - ١٣٦، تفسير البيضاوى ٥٨٤/٢، تفسير الرازى ١١٦/٣٢.

للقرآن كله...

ومن أهداف ومقاصد سورة البروج

- هذه السورة القصيرة تعرض ؛ حقائق العقيدة، وقواعد التصور الإيمانى..أموراً عظيمة، وتشع حولها أضواء قوية بعيدة المدى، وراء المعانى والحقائق المباشرة التى تعبر عنها نصوصها، حتى لتكاد كل آية - وأحياناً كل كلمة فى الآية - أن تفتح كوة على عالم مترامى الأطراف من الحقيقة...

- يدور المحور الرئيسى لهذه السورة المباركة حول قضية العقيدة الإسلامية - شأنها فى ذلك شأن كل السور المكية

- تركز السورة الكريمة على حادثة أصحاب الأخدود، كنموذج لتجبر أهل الباطل على أهل الحق أمام فتن أهل الباطل، انطلاقاً من اليقين بأن الله العزيز الحميد، قد أقسم بعظيم قدرته، وبطلاقة إرادته، بالدفاع عن عبادة المؤمنين، وهذا القسم المطلق يشمل الزمان والمكان إلى قيام الساعة.

- السورة تضرب المثل للذين فتنوا المسلمين بمكة، بأنهم مثل قوم فتنوا فريقاً ممن آمن بالله تعالى، فجعلوا أخدوداً من نار لتعذيبهم، ليكون المثل تثبيتاً للمسلمين، وتصبيراً لهم على أذى المشركين، وتذكيرهم بما جرى على سلفهم فى الإيمان، من شدة التعذيب الذى لم ينلهم مثله، ولم يصدهم ذلك عم دينهم.

- إشعار المسلمين بأن قوة الله تعالى عظيمة، فسيلقى المشركون صنيعهم، ويلقى المسلمون النعيم الأبدى والنصر... والتعريض للمسلمين بكرامتهم عند الله تعالى.

- ضرب المثل بقوم فرعون وثمود، وكيف كان عاقبة أمرهم بما كذبوا الرسل، فحصلت العبرة للمشركين فى فتنتهم المسلمين، وفى تكذيبهم الرسول ﷺ، والتنويه بشأن القرآن.

- هذه السورة - القصيرة - تعرض حقائق العقيدة، وقواعد التصور الإيمانى، وتمجد الثبات على الحق، وتبشر المؤمنين بنصر الدنيا ونعيم الآخرة، وتهدد الجبارين المعتدين بنعمة الله وولعنته فى الدنيا والآخرة.

فقرات السورة حسب ترتيب الآيات:

هذه السورة الكريمة تتحدث عن قصة " أصحاب الأخدود " وهم فئة من المؤمنين الأولين، كانوا قد آمنوا - قبل الإسلام - وتعرضوا للتعذيب بالنار، على يد الكفار من إخوانهم، عقاباً لهم على إيمانهم.

وقد ابتدأت السورة الكريمة باستعراض جملة من الأشياء التى ينبغى الوقوف ها وقفة خاصة، والتأمل فيها وفيما وراءها، بقصد الذكرى والاعتبار...

- تبدأ السورة بقسم ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴾ ففى مطلعها إشارة إلى السماء مع وصفها بذات البروج... إشارة إلى اليوم الموعود... ثم إشارة إلى الشاهد والمشهود..

وهنا تربط بين السماء وما فيها من بروج هائلة، واليوم الموعود وأحداثه الضخام، والحشود التى تشهده، والأحداث المشهورة فيه... تربط بين هذا كله وبين الحادث، ونقمة السماء على أصحابه البغاة.

- ثم تستعرض أحداث الأخدود... فتعرض المشهد المفجع فى لمحات خاطفة، تودع المشاعر بشاعة الحادث، بدون تفصيل ولا تطويل..مع التلميح إلى عظمة العقيدة التى تعالت على فتنة الناس مع شدتها، وانتصرت على النار وعلى الحياة ذاتها، وارتفعت إلى الأوج الذى يشرف الإنسان فى أجياله جميعاً..والتلميح إلى بشاعة الفعلة، وما يكمن فيها من بغى وشر وتسفل، إلى جانب ذلك الارتفاع والبراءة والتطهر من جانب المؤمنين.

﴿ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴾

- ولعل السر فى الإتيان بهذه القصة هو: مواساة المؤمنين المستضعفين.. وتعريفهم بما سبق للمؤمنين قبلهم فى عصور قديمة.. وما آل إليه أمر المؤمنين الكافرين الذين عذبوهم.

- ثم التنويه بالمؤمنين الذين تحملوا الشدائد والتضحيات فى سبيل إيمانهم، دون أن يتازلوا عن عقيدتهم، وذكر ما نالوه عند الله من الفوز الكبير.

- بعد ذلك تجىء التعقيبات المتوالية القصيرة، متضمنة تلك الأمور العظيمة، فى شأن الدعوة والعقيدة، والتصور الإيمانى الأصيل.

- ثم إشارة إلى تلك الله فى السموات والأرض، وشهادته وحضوره لكل ما يقع فى السموات والأرض، الله ﴿ الذى له ملك السموات والأرض والله على كل شىء شهيد ﴾.

- ثم الإشارة إلى عذاب جهنم وعذاب الحريق الذى ينتظر الطغاة الفجرة السفلة...وإلى نعيم الجنة.. ذلك الفوز الكبير.. الذى ينتظر المؤمنين الذين اختاروا عقيدتهم على الحياة، وارتفعوا على فتنة النار والحريق.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴾.

- ثم تنتقل الآيات الكريمة إلى تقرير عدد من الأحكام الإلهية المستمدة من هذه الواقعة المفزعة، والتى هى - فى نفس الوقت - أحكام مطلقة، تؤكد لكل ذى بصيرة: أن الدنيا الغابرة هى رحلة قصيرة إلى الآخرة الأبدية الباقية.

ولا يمكن لعاقل أن يضحى بآخرته الباقية، من أجل دنياه الفانية.

وفى ذلك تطمئن للمؤمنين الذين أحرقوا فى الأخدود، وتهديد للذين قاموا بهذه الجريمة البشعة، وفيه تطمين لكل مسلم ومسلمة يتعرض - أو تتعرض - لفتن المشركين فى كل زمان ومكان، بأن مصيرهم الخلود فى

جنات النعيم.

- ثم تستعرض الآيات عدداً من صفات الله تعالى، وأسمائه الحسنى التى تبرز وتنعكس من خلالها آثار جماله وجلاله.. وكلها مؤكدة على طلاقة قدرته، ونفاذ إرادته.

- ثم تنتقل الآيات - بعد ذلك - بالخطاب إلى رسول الله ﷺ مؤكدة أن الله تعالى يبطش بالجبابرة والظلمة بطشاً شديداً.

﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴾

وهى حقيقة تتصل اتصالاً مباشراً بالحياة التى أزهقت في الحادث، ونلقى وراء الحادث إشاعات بعيدة..

- ثم تذكر الآيات بعض صفات الله تعالى، وكل صفة منها تعنى آمراً

﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾

(الغفور) للتائبين من الإثم مهما عظم وبشع، (الودود) لعباده الذين اختاروا الذين يختارونه على كل شيء والود هنا هو البلسم المريح لمثل القروح...

﴿ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ صفات تصور الهيمنة المطلقة، والقدرة المطلقة، والإرادة المطلقة...وكلها ذات اتصال بالحادث.. كما أنها تطلق وراءه إشاعات بعيدة الآماد.

-ثم إشارة سريعة إلى سوابق من أخذه للطغاة،وهم مدججون بالسلاح

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴾

وهما مصرعان متنوعان فى طبيعتها وآثارهما، ووراءهما - مع حادث الأخدود - إشاعات كثيرة.

وفى الختام تقرر الآيات الذين كفروا، وإحاطة الله تعالى بهم وهم لا يشعرون.

﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ﴾

ثم تقرير حقيقة القرآن، وثبات أصله، وحياطته.

﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾

مما يوحى ما يقرره هو القول الفصل، والمرجع الأخير، فى كل الأمور (١).

هذا، ولا يفوتنى أن أذكر تعليق اثنين من جهابذة التفسير، وهما الفخر الرازى، والعلامة الطباطبائى...

كلام الفخر الرازى – رحمه الله –

يقول الرازى: اعلم أن المقصود من هذه السورة ؛ تسلية النبى ﷺ وأصحابه عن إيذاء الكفار وكيفية تلك التسلية هى:

أنه تعالى بين أن سائر الأمم السالفة كانوا كذلك كمثل أصحاب الأخدود، ومثل فرعون، ومثل ثمود، وتم ذلك بأن بين أن كل الكفار كانوا فى التكذيب، ثم عقب هذا الوجه بوجه آخر، وهو قوله ﴿ والله من ورائهم محيط ﴾، ثم ذكر وجها ثالثا وهو: أن هذا الشئ مثبت فى اللوح المحفوظ، ممتنع التغيير، وهو قوله ﴿ بل هو قرآن مجيد ﴾ فهذا ترتيب السورة (٢).

كلام العلامة الطباطبائى:

والسورة الكريمة إنذار وتبشير، فيها وعيد شديد للذين يفتنون المؤمنين والمؤمنات لإيمانهم بالله، كما كان المشركون من أهل مكة يفعلون

---

(١) ينظر فى ذلك: فى ظلال القرآن ٦/٣٨٧١ – ٣٨٧٢، التحرير والتنوير ٣٠/٢٣٦ – ٢٣٧، من أسرار القرآن للدكتور / زغلول النجار – مقال بجريدة الأهرام الاثنين ٢٠٠٨/١٠/٢٠ م، تفسير الرازى ٣٢/١١٣ ط ٣ ١٩٨٨ م – دار إحياء التراث العربى – بيروت، التفسير فى أحاديث التفسير – للشيخ محمد المكى الناصرى ط ١ ١٩٨٥ م دار الغريب الإسلامى – بيروت ص ٤٠٣ – ٤٠٦، أهداف كل سورة ومقاصدها فى القرآن الكريم د/ عبد الله محمود شحاتة – جزء عم – ص ١٠٠ وما بعدها – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩ م.

(٢) تفسير الرازى ٣٢/١١٣.

ذلك بالذين آمنوا بالنبى ﷺ فيعذبونهم ليرجعوا إلى شركهم السابق.

فمنهم من كان يصير ولا يرجع، بلغ الأمر ما بلغ، ومنهم من رجع وارتد، وهم ضعفاء الإيمان، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ ﴾ [الحج: ١١].

وقد قدم سبحانه على ذلك الإشارة إلى قصة أصحاب الأخدود، وفيه تحريض المؤمنين على الصبر فى جنب الله تعالى، وأتبعها بالإشارة إلى حديث الجنود – فرعون وثمود – وفيه تطييب لنفس النبى ﷺ بوعد النصر، وتهد للمشركين[١].

هذه لمحات مجملة من إشعاعات السورة ومجالها لواسع البعيد.. تمهد لاستعراض هذه الإشعاعات بالتفصيل... فإلى تفسير السورة الكريمة.

فذلكة:

سورة البروج اثنتان وعشرون آية، وتقسيمها بديع كالآتى:

- القسم بثلاث آيات... والمقسم عليه آية واحدة[٢].
- المشاهد ثلاث آيات.. والسبب فى آية واحدة[٣].
- تذييل بثلاث صفات... [٤].

---

(١) الميزان فى تفسير القرآن للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائى ٢٠/٢٤٨-٢٤٩، ط ٢ ١٩٧٤ م، مؤسسة الأعلمى، بيروت.

(٢) القسم فى قوله تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ والمقسم عليه هو: ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴾ أو ما يدل عليه.

(٣) الشاهد فى قوله تعالى ﴿ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴾ والسبب هو ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾.

(٤) التذييل فى قوله ﴿.. الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ... ﴾.

- المقابلة فى آيتين[١].
- الإنذار فى آية[٢].
- وتوكيد القدرة فى آية[٣].
- من صفات الرحمة فى ثلاث آيات[٤].
- ذكر خبر من غبر فى آيتين[٥].
- تكذيب الكافرين وتهديدهم فى آيتين[٦].
- القرآن محفوظ.. فى آيتين[٧].

---

(١) المقابلة فى قوله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾
وقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ... ﴾.

(٢) الإنذار فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾.

(٣) توكيد القدرة فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴾.

(٤) من صفات الرحمة قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾.

(٥) خبر الكافرين فى قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴾.

(٦) التكذيب والتهديد فى قوله تعالى: ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ﴾.

(٧) حفظ القرآن فى قوله تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

" بسم الله " الذى أحاط بكل شىء قدره علماً " الرحمن " الذى علم الخلائق عدلاً وحلماً " الرحيم " الذى خص أولياءه بإتمام النعمة عليهم عيناً، كما أظهره رسماً.(١)

القسم فى القرآن الكريم

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴾ [١- ٤]

فى افتتاح السورة الكريمة بهذا القسم تشويق إلى ما يرد بعده، وإشعار بأهمية المقسم عليه، وهو مع ذلك يلفت ألباب السامعين إلى الأمور المقسم بها، لأن بعضها من دلائل عظيم القدرة الإلهية، المقتضية تفرد الله تعالى بالإلهية، وإبطال الشريك.

وبعضها مذكر بيوم البعث الموجود، ورمز إلى تحقيق نوعه، إذ القسم لا يكون إلا بشىء ثابت الوقوع، وبعضها بما فيه من الإبهام، يوجه أنفس السامعين إلى تطلب بيانه (٢)

الحكمة من ورد القسم فى القرآن:

من البلاغة فى الأسلوب مراعاة حال المخاطب، ولما كان الناس مختلفين فى طباعهم ومفاهيمهم، وفى تقبل الحق والانقياد لنوره، كان ولابد أن يجارى أسلوب القرآن أساليب العرب، ويخاطب كل أنواع البشر بما يحقق المطلوب، ويهدى إلى الصواب.

ونظم الكلام يقتضى مراعاة حال المتكلم فى الأداء، مهيأ للقبول، جاء الكلام خبرياً بلا قسم ولا تأكيد، والقسم من أساليب التوكيد، وطريق

---

(١) نظم الدرر ٨/٣٧٦.

(٢) التحرير والتنوير ٣٠/٢٣٧.

من طرقه، فهو كالبرهان لدفع الإنكار، واستدراج بالخصم إلى الاعتراف بما كان يجحد، والأخذ بيده لترك العناد والمكابرة.

ولذا نرى تنوع القرآن الكريم فى أساليبه، وفى مخاطباته، تبعاً لتنوع العقول والإدراكات، وهذا سر من أسرار إعجاز القرآن العظيم.

وإن قيل: ما معنى القسم منه سبحانه وتعالى، فإن كان لأجل المؤمن، فالمؤمن يصدق مجرد الإخبار بدون قسم، وإن كان لأجل الكافر، فلا يفيد، وهو غير معترف بالله تعالى ولا بقوله ؟

والجواب: أن القرآن نزل بلغة العرب، والعرب إذا أرادوا توكيد نسبة أقسموا عليها، وتوكيداً وتقريراً، وتربية للمهابة، ودفعاً إلى التصديق بها.

قال أبو القاسم القشيرى: إن الله تعالى ذكر القسم فى القرآن: لكمال الحجة وتأكيدها، وذلك أن الحكم يفصل باثنين، إما بالشهادة، وإما بالقسم، فذكر الله تعالى فى كتابه النوعين حتى لا يبقى لأحد حجة[1].

القسم به فى القرآن:

أقسم الله تعالى بثلاثة أشياء ؛ أقسم بذاته، كقوله ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر / ٩٢ – ٩٣]

وأقسم بفعله، نحو قوله ﴿ وَالسَّمَاء وَمَا بَنَاهَا وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾ [الشمس ٥-٧]

وأقسم بمفعوله، مثل قوله ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ﴾ [أول سورة النجم]

ولله تعالى أن يقسم بما شاء على ما شاء، لا يسأل عما يفعل، وليس لأحد من خلقه أن يقسم إلا بالله تعالى أو بصفة من صفاته العلية.

مواضع القسم فى القرآن

قد يأتى فى أوائل السور القرآنية – وهو كثير – كما يأتى ثناياها.

---

(١) البرهان فى علوم القرآن للزركشى ٣/٤١، الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ٢/١٣٣.

أنواع المقسم عليه فى القرآن

المتأمل فى آيات القسم فى القرآن يجدها تعنى بأمور كثيرة، أهمها أمران ؛ هما: أصول الإيمان، وحال الإنسان.

القسم فى سورة البروج

افتتحت السورة الكريمة بثلاثة أقسام، وهى:

﴿ وَالسَّمَاء ذَاتِ الْبُرُوجِ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ [١- ٣]

وذلك قبل الإشارة إلى محور السورة، وهو حادث الإخدود.

والمراد بالبروج

أصل البرج: الأمر الظاهر، ثم صار حقيقة للقصر العالى، لأنه ظاهر للناظرين.

وبروج السماء شبهت بالقصور لعلوها، ولأن النجوم نازلة فيها كسكناها

أخرج ابن جرير، عن ابن عباس ﷺ قال: البروج: قصور فى السماء

وأخرج ابن المنذر، عن الأعمش قال: كان أصحاب عبد الله يقولون فى قوله تعالى ﴿ وَالسَّمَاء ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴾ قال: النجوم العظام وأخرج ابن مردويه، عن جابر بن عبد الله ﷺ: أن النبى ﷺ سئل عن ﴿ وَالسَّمَاء ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴾ فقال الكواكب، وسئل عن " الذى جعل السماء بروجاً " فقال: الكواكب، وسئل عن " الذى جعل فى السماء بروجا " فقال: الكواكب.

قال الماوردى: وفى البروج أربعة أقاويل:

أحدها: ذات النجوم، قاله الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك.

الثانى: ذات القصور، قاله ابن عباس ﷺ.

الثالث: ذات الخلق الحسن، قاله المنهال بن عمرو.

الرابع: ذات المنازل، قاله يحيى بن سلام، وهى اثنا عشر رجلا، وهى منازل القمر.

وقال الفخر الرازى: اعلم أن فى البروج ثلاثة اقوال:

أحدها: أنها هى البروج الاثنا عشر، وهى مشهورة.

وإنما حسن القسم بها: لما فيها من عجيب الحكمة، وذلك ؟: لأن سير الشمس فيها، ولاشك أن مصالح العالم السفلى مرتبطة بسير الشمس، فيدل ذلك على أن لها صانعا حكيما.

وثانيها: أن البروج هى منازل القمر.

وإنما حسن القسم بها: لما فى سير القمر وحركته من الآثار العجيبة.

وثالثها: أن البروج عن عظام الكواكب، سميت بروجا لظهورها.

وخلاصة ما سبق:

إما أن يراد بالبروج أجرام النجوم الهائلة، كأنها بروج السماء الضخمة، أى: قصورها المبنية، كما قال تعالى ﴿ والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون ﴾ [الذاريات: ٤٧] وكما قال ﴿ أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها ﴾ [النازعات: ٢٧].

وإما أن تكون هى المنازل التي تنتقل فيها تلك الأجرام فى أثناء دورانها، وهى مجالاتها التي لا تتعداها فى جريانها فى السماء.

والإشارة إليها يوحى بالضخامة، وهو الظل المراد إلقاؤه فى هذا الجو.

وعلى ما قيل من أنها هى منازل القمر والشمس والكواكب: فهى اثنا عشر برجا، يسير القمر فى كل برج منها يومين وثلث يوم، فذلك ثمانية وعشرون يوما، ثم يستتر ليلتين. وتسير الشمس فى كل برج منها شهرا [١].

---

(١) ينظر: فى ظلال القرآن ٣٨٧٣/٦، الدر المنثور ٥٥١/٦ – ٥٥٢، تفسير الطبرى ١٢٧/٣٠، ١٢٨، تفسير القرطبى ١٨٧/٩، وروح المعانى ١٠٨/٣٠، ١٠٩، تفسير البيضاوى ٥٨٤/٢، تفسير أبى السعود ١٣٥/٩، البحر المحيط ٤٤٩/٨، الفتوحات الإلهية ٥١٢/٤، تفسير ابن كثير ٤٩١/٤، فتح القدير ٤١١/٥، ٤١٤، ٤١٥، تفسير الرازى ١١٣/٣٢، تفسير الماوردى ٤٥٤/٤ المسمى بالنكت والعيون ط ١٩٩٢/١، دار الصفوة، نظم الدرر ٣٧٧/٨، حدائق الروح والريحان ٢٨٦/٣١، ٢٨٧، تفسير جزء عم الشيخ الإمام محمد عبده ص ٥٠، مكتبة ومطبعة محمد على صبيح ١٩٦٧ م.

٥- دلالة القسم بالمساء ذات البروج:

القسم بالسماء بوصف ذات البروج يتضمن قسما بالأمرين معا،

لتلتفت أفكار المتدبرين إلى ما فى هذه المخلوقات، وهذه الأحوال ثمن الدلالة على عظيمن القدرة وسعة العلم الإلهى، إذ خلقها على تلك المقادير المضبوطة، لينتفع بها الناس فى مواقيت الأشهر والفصول، كما قال تعالى ﴿ ذَلِكَ لِتَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٩٧] (١)

أقسم بالسماء: تنبيه لنا إلى دقة بنائها، واتساع أبعادها، وإحكام حركات أجرامها، وانضباط كل أمر من أمورها...ووصفها بذات البروج: تأكيد على كل ذلك.

وهو إشارة إلى أن الذى فصل السماء هذا التفصيل، وسخر فيها هذه الكواكب لمصالح الإنسان، لا يتركه سدى، بل لابد من دينونته على ما يفعل من خير وشر (٢)

يقول الشيخ الأستاذ طنطاوى جوهرى رحمه الله:

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴾ أى: الكواكب العظيمة التى بلغت حداً من الكثرة، عرف بعضها علماء العصر الحاضر، حتى بلغت مئات الملايين... ثم كبف كانت عظمة تلك الكواكب بالنسبة لشمسنا هائلة جداً...

١-فقد علموا أن " الشعرى " اليمانية أثقل من الشمس جرماً بعشرين مرة، ونورها خمسون ضعف نور الشمس، وهى أبعد منها مليون ضعف بعدها عنا.

٢- والشعرى اليمانية تجرى بسرعة ١٠٠٠ ميل فى الدقيقة.

---

(١) التحرير والتنوير ٣٠/٢٣٧-٢٣٨

(٢) نظم الدر ٨/٣٧٧، الميزان ٢٠/٢٤٩.

٣- وثلاث من بنات نعس يقفن الشمس نوراً، واحدة منهن أربعمائة ضعف، والثانية أربعمائة وثمانين، والثالثة ألف ضعف، وسهيل أضوأ من الشمس ٢٥٠٠ مرة.

٤- والسماك الرامح حجمه ثمانون ضعف حجم الشمس، ولا يصل ضوءه إلينا إلا فى مائتى سنة والشعرى لا يصل نورها إلينا إلا فى ١٦ سنة.

فإذا كانت الشعرى اليمانية هذا وصفها، فنحن إذن على الأرض لا ندرى شيئاً فى هذا العالم فإذن أقسم الله تعالى بالسماء ذات البروج: ليهجينا ويشوفنا إلى الإطلاع على تلك العوالم فى الحياة [١]

والمراد باليوم الموعود

يأتى بعد القسم بالسماء ذات البروج قسم ثان، يقول فيه ربنا جل جلاله " واليوم الموعود " وهو يوم القيامة، الذى يتم فيه تدمير الكون وإعادة خلقه، ثم بعث الأموات وحشرهم، وعرضهم الأكبر أمام خالقهم، للحساب والجزاء.

ومناسبة الكلام لما سبقه:

لما كانت السابقة دالة على البعث، قال سبحانه تصريحاً " واليوم الموعود " أى: يوم القيامة، الذى تحقق الوعد به، وثبت ثبوتاً لابد منه، بما دل عليه من قدرتنا فى مخلوقاتنا، وأننا سببنا له أسباباً هى عنيدة لديكم...

واليوم الوعود: أى: الوعود به، وهو يوم القيامة باتفاق المفسرين، وهو يوم الفصل فى أحداث الدنيا، وتصفية حساب الأرض وما كان فيها، وهو الموعود الذى وعد الله سبحانه بمجيئه، ووعد بالحساب والجزاء فيه، وأمهل المتخاصمين والمتقاضيين إليه، وهو اليوم العظيم الذى تتطلع إليه

---

(١) ينظر: الجواهر ٢٥/١٠٥ - ١٠٦

الخلائق وتترقبه، لترى كيف تصير الأمور.

ودلالة القسم باليوم الموعود

لأن الله تعالى وعد بوقوعه، قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ [آخر سورة المعارج] مع ما فى القسم به من إدماج الإيماء إلى وعيد أصحاب القصة، المقسم على مضمونها، ووعيد أمثالهم المعرض بهم.

وقال الرازى: إنما حسن القسم بيوم القيامة، للتنبيه على القدرة، إذ هو يوم الفصل والجزاء، ويوم تفرد الله تعالى فيه بالملك والحكم [1].

فأقسم باليوم الموعود الذى يجرى فيه الناس بأعمالهم:

وهنا قسم بما هو غيب صرف، بعد القسم بما هو مشهود.

والمراد بالشاهد والمشهود

ثم يأتى القسم الثالث الذى يقول فيه الحق تبارك وتعالى ﴿ وشاهد ومشهود ﴾

ومناسبته لما قبله:

لما كان الجمع لأجل العرض، وكان العرض لابد فيه من شهود ومشهود عليهم، وجدال على عهود، قال سبحانه منكراً للإبهام، التعظيم والتعميم، مثل ﴿ علمت نفس ما أحضرت ﴾ [التكوير / ١٤] واختلف أهل التأويل فى معنى ذلك ؛ فقال أبو هريرة ﷺ: الشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة.. وكذا عن على ﷺ والحسن وابن عباس وقتادة وابن زيد...، والمشهود يوم القيامة..روى هذا عن ابن عباس ﷺ والحسن بن على وابن المسيب.

وقال غيرهم: الشاهد الإنسان، والمشهود يوم القيامة...روى هذا عن مجاهد وعكرمة والضحاك وقال قوم: الشاهد الخلق، والمشهود الحق..

---

(١) ينظر: فى ظلال القرآن ٣٨٧٣/٦، التحرير والتنوير ٣٣٨/٣٠، نظم الدرر ٣٧٧/٨، مقال د/ زغلول النجار، تفسير الرازى ٣٢ /١١٤، حدائق الروح ٢٨٨/٣١.

وإليه أشار الشاعر بقوله:

أيا عجبا كيف يعصى الإلـــه ... أم كيـــف يجحـــده الجاحـــد
ولله فـــى كـــل تحريكـــة ... وفـــى كـــل تســـكينة شـــاهد
وفى كـــل شـــئ لـــه آيـــة ... تـــدل علـــى أنـــه الواحـــد

وقيل: الشاهد الأنبياء، والمشهود أممهم.

وقيل: الشاهد الجوارح، والمشهود أصحابها.

هذا، وقد ذكر أبو سبعة وعشرين قولا فى معنى الشاهد والمشهود، ثم قال: وللصوفية أقوال غير هذه.

ثم قال: قوله تعالى: ﴿ وشاهد ومشهود ﴾ هذان منكـــران، وينبغـــى حملها على العموم لقوله تعالى: ﴿ علمت نفس ما أحضرت ﴾، وإن كـــان اللفظ لا يقتضيه، لكن المعنى يقتضيه، إذ لا يقسم بنكرة ولا يدرى من هى، فإذا لوحظ فيها معنى العموم اندرج فيها المعرفة، فحسن القسم.

وكذا ينبغى أن يحمل ما جاء من هذا النوع نكرة، كقوله ﴿ والطـــور وكتاب مسطور ﴾ ولأنه إذا حمل ﴿ وكتاب مسطور ﴾ على العموم دخـــل فيه جميع الكتب الإلهية.

ويقول ابن جرير رحمه الله: والصواب من القول فى ذلك أنيقال: إن الله تعالى أقسم بشاهد شهد، ومسهود شهد، ولم يخبرنا – مع إقسامه بذلك – أى شاهد وأى مشهود أراد، وكل الذى ذكرنا أن العلماء قالوا: هو المعنـــى مما يستحق أن يقال له " شاعهد ومشهود "

وقال الرازى رحمه الله: قال القفال: إن الشاهد يقـــع علـــى شـــيئين(أحدهما): الشاهد الذى تثبت به الدعوى والحقوق، و(الثانى): الشاهد الذى هو بمعنى الحاضر... وحمل الآية على هذا الاحتمال أولى.

وعلى كل ما قيل: فإنه لا مانع من القول بأن الشاهد من الشهادة بمعنـــى الحضور، أو الشهادة على الغير، والمشهود هو الحاضر، أو من يشهد عليه.

ومناسبة القسم بـ (شاهد ومشهود):

وعلى مختلف الوجوه التي قيلت فى معنى الشاهد والمشهود، فالمناسبة ظاهرة بينة وبين ما فى المقسم عليه من قوله تعالى ﴿ وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود ﴾ وقوله: ﴿ إذ هم عليها قعود ظ أى: حضور، يقل الأستاذ الشهيد سد قطب رحمه الله:

وتلتقى " السماء ذات البروج، واليوم الموعود، وشاهد ومشهود " تلتقى جميعا فى إلقاء ظلال الاهتمام والاحتفال والاحتشاد والضخامة على الجو الذى يعرض فيه بعد ذلك حادث الإخدود.. كما توحى بالمجال الواسع الشامل الذى يوضع فيه هذا الحادث، وتوزن فيه حقيقته، ويصفى فيه حسابه... وهو أكبر من مجال الأرض، وأبعد من مدى الحياة الدنيا وأجلها المحدود.

ويقول الأستاذ عبد الكريم الخطيب رحمه الله: وفى هذه الأقسام الثلاثة جمع الله سبحانه وتعالى جميع المخلوقات، علوية وسفلية، وغائبة وحاضرة، ومنظورة وناظرة.

لقد استحضر الله سبحانه وتعالى الوجود كله، ليشهد هذا الجرم الغليظ، وليسمع حكمه سبحانه على المجرمين الذين اقترفوه.

وقصارى القول: أنه سبحانه وتعالى أقسم بالعوالم كلها، ليلفت الناظرين إلى ما فيها من العظم والفخامة، وليعتبروا بما حضر، ويبذلوا جهدهم فى درك حقيقة ما استتر [1].

---

(١) ينظر فى ذلك: فى ظلال القرآن ٣٨٧٣/٦، التفسير القرآنى للقرآن ١٥١٢/١٦، تفسير الطبرى ١٢٨/٣٠-١٣١، الدر المنثور ٥٥٢/٦، ٥٥٣، ابن كثير ٤٩١/٤، ٤٩٢، تفسير البغوى ٤٦٦/٤، ٤٦٧، تفسير القرطبى ١٨٨/١٩، ١٨٩، البحر المحيط ٤٥٠/٨، الفتوحات الإلهية ٥١٢/٤، ٥١٣، الجواهر ١٠٦/٢، تفسير الماوردى ٤٥٤/٤، نظم الدرر ٣٧٧/٨، مجمع البيان ٧٠٨/٩ -٧٠٩، فتح الرحمن فى تفسير القرآن ٣٨٩٨/٧، ٣٨٩٩، ط ١، ١٩٩٥ م، د / عبد المنعم أحمد تعيلب، دار السلام، حدائق الروح والريحان ٢٨٨/٣١، الميزان ٢٥٠/٢٠، فتح القدير ٤١٥/٥.

فذلكة:

يقول العلامة الجوهرى: أقسم الله بالسماء ذات النجوم العظيمة، ولا جرم أن السماء هى العوالم جميعها، إن الإنسان ينظر وهو فوق الكرة الأرضية فيرى قبة زرقاء فيها جميع العوالم الكونية، ومعلوم أن فى السماء أسباب رزقنا من مطر ونور وحرارة بأشعة الكواكب والشمس، فإن لم تكن هذه فلا رزق فى الدنيا، وهذه العوالم مدبرة بملائكة طبقا عن طبق، وتحت هؤلاء كلهم نفوسنا الأرضية، ومعلوم أن المقصود من هذا كله النفوس وترقيها، وذلك يظهر فى اليوم الموعود، حين يحضر هناك الشاهد والمشهود، وهما جميع الأمم كما عرفت.

أقسم الله بهذا كله أن الظالمين ملعونون قديما وحديثا [١].

جواب القسم:

قيل: جواب القسم محذوف، والتقدير: لنبعثن ونحوه، وقال الزمخشرى: يدل عليه ﴿ قتل أصحاب الأخدود ﴾ [٢].

وقيل: الجواب مذكور، وهو ﴿ إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ﴾ الآية.

وقال المبرد: " إن بطش ربك لشديد "

وقيل: " قتل أصحاب الأخدود " وهذا نختاره، وحذفت اللام،أى: لقد قتل، وحسن حذفها كما حسن فى قوله تعالى ﴿ والشمس وضحاها..﴾ ثم قال ﴿قد أفلح من زكاها﴾ أى: لقد أفلح من زكاها [٣].

---

(١) الجواهر فى تفسير القرآن ١١١/٢٥.

(٢) ينظر: روح المعانى ١١٢/٣٠، التحرير والتنوير ٢٤٠/٣٠، تفسير الرازى ١١٨/٣٢، مراح لبيب ٤٣٦/٢، حدائق الروح والريحان ٢٨٩/٣١.

(٣) المشهور عند النحاة: أن الماضى المثبت المتصرف الذى لم يتقدم معموله إذا وقع جوابا للقسم تلزمه اللام وقد، نحو ﴿ والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم ﴾ ولا يجوز الاقتصار على أحدهما، إلا عند طول الكلام، ينظر:حدائق الروح والريحان ٢٨٩/٣١، ٣٠٥-٣٠٦.

ويكون الجواب دليلا على لعنة الله على من فعل ذلك، وطرده من رحمة الله.

وتنبيها لكفار قريش الذين يؤذون المؤمنين ليفتنوهم عن دينهم على أنهم ملعونون، بجامع ما اشتركا فيه من تعذيب المؤمنين.

وإذا كان (قتل) جوابا للقسم فهى جملة خبرية.

وقيل: إن (قتل دعاء، فيكون الجواب غيرها.

كأنه قيل: أقسم بهذه الأشياء أنهم - أى: كفار مكة - ملعونون، كما لعن أصحاب الأخدود[1].

أخرج ابن المنذر والحاكم - وصححه - عن ابن مسعود قال: قسم ﴿ والسماء ذات البروج ﴾ إلى قوله ﴿ وشاهد ومشهود ﴾ قال: هذا قسم على ﴿ إن بطش ربك لشديد ﴾ إلى آخرها.

وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج فى قوله ﴿ إن بطش ربكلشديد ﴾ قال: ههنا القسم[2].

وعند القرطبى: قال المبرد ﴿ إن بطش ربك لشديد ﴾ جواب القسم، المعنى: والسماء ذات البروج... إن بطش ربك وما بينهما معترض مؤكد

---

(١) ينظر البحر المحيط ٤٥٠/٨، روح المعانى ١١١/٣٠، تفسير أبى السعود ١٣٥/٩، الفتوحات الإلهية ٥١٣/٤، تفسير القرطبى ١٨٩/٨٩، تفسير البيضاوى ٥٨٤/٢، حاشية الصاوى ٢٥٧/٤، مراح لبيد ٤٣٦/٢، الكشاف ١٩٩/٤، فتح القدير ٤١٢/٥، التحرير والتنوير ٢٣٩/٣٠-٢٤١، معانى القرآن للفراء ٢٥٣/٣، تفسير الرازى ١١٦/٣٢، تنوير الأذهان ٥٢١/٤، مجمع البيان ٧٠٦/٩، حدائق الروح والريحان ٢٨٩/٣١، ٣٠٦، تفسير جزء عم ص ٥٧.

(٢) الدر المنثور ٥٥٧/٦، فتح القدير ٤١٧/٥، تفسير البغوى ٤٧١/٤، عن قتادة، والقرطبى ١٩٥/١٩

للقسم، وكذلك قال الترمذى فى نوادر الأصول.

حكمة التعبير بلفظ (قتل):

قال ابن عباس (أرض): كل شئ فى القرآن (قتل) فهو لعن.

فالقتل ههنا عبارة عن أشد اللعن والطرد، لاستحالة الدعاء منه سبحانه حقيقة، فأريد لازمه من السخط والطرد عن رحمته جل وعلا

فقوله سبحانه ﴿ قتل أصحاب الأخدود ﴾ صيغة تشعر بأنه إنشاء شتم لهم، شتم خزى وغضب، وهؤلاء لم يقتلوا ففعل (قتل) ليس بخبر، بل شتم، نحو قوله تعالى ﴿ قتل الخراصون﴾ [الذاريات: ١٠] وقولهم: قاتله الله.

وصدوره من الله تعالى يفيد معنى اللعن، ويدل على الوعيد، لأن الغضب واللعن يستلزمان العقاب على الفعل الملعون لأجله.

وقال بعض العلماء: الأظهر أن يقدر: أنهم لمقتولون كما قتل أصحاب الأخدود، فيكون وعدا له ﷺ بقتل الكفرة المتمردين لإعلاء دينه.

ويكون معجزة بقتل رؤوسهم فى غزوة بدر.

وظاهرة إبقاء القتل على حقيقته، واعتبار الجملة خبرية[١].

دلالة لفظ (أصحاب):

الصاحب: الملازم، إنسانا كان أو حيوانا، أو مكانا أو زمانا، ولا فرق بين أن تكون مصاحبته بالبدن – وهو الأصل والأكثر –أو بالعناية والهمة.

ولا يقال فى العرف إلا لمن كثرت ملازمته، ويقال لمالك الشئ: هو صاحبه، وكذلك لمن يملك التصرف فيه[٢].

وهنا لفظ (أصحاب) مستعمل فى معنى مجرد المقارنة والملازمة،

---

(١) .

(٢) المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى، مادة (صحب) ط ١٩٦١ الحلبى، بتحقيق وضبط محمد سيد كيلانى.

كقوله تعالى ﴿ يا صاحبى السجن ﴾] يوسف: ٣٩] إذا كان المراد بذلك: الذين ألقوا فى الأخدود وعذبوا به.

أو: أن لفظ (أصحاب) يعم الأمرين بجعل الأخدود، والمباشرين لحفره وتسعيره، والقائمين على إلقاء المؤمنين فيه.

واتساق ضمائر جمع الغائب المرفوعة، من قوله تعالى ﴿ إذ هم عليها قعود ﴾ إلى قوله ﴿ وما نقموا ﴾ يقتضى أن يكون أصحاب الأخدود هو واضعيه لتعذيب المؤمنين.

وعن الفراء: كان ملك خد لقوم أخاديد فى الأرض، ثم جمع فيها الحطب، وألهب فيها النيران، فأحرق بها ثوما، وقعد الذين حفروا حولها، فرفع الله تعالى النار إلى الكفرة الذين حفروها فأحرقتهم ونجا المؤمنون، وذلك قوله تعالى ﴿ فلهم عذاب جهنم ﴾ فى الآخرة ﴿ ولهم عذاب الحريق ﴾.

ويقال: أنها أحرقت من فيها، ونجا الذين فوقها، واحتج قائل هذا بقوله تعالى ﴿ وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود ﴾.

والقول الأول أشبه بالصواب، لقوله تعالى ﴿ فلهم عذاب جهم ولهم عذاب الحريق ﴾ ولقوله فى صفة الذين آمنوا ﴿ ذلك الفوز الكبير ﴾ يقول: فازوا من عذاب الكفار، وعاب الآخرة، فأكبر به فوزا[1].

معنى (الأخدود):

الخد والأخدود: شق فى الأرض مستطيل غائص، وجمع الأخدود: أخاديد، والخد كالخندق، ومنه الخد: لمجارى الدموع، والمخدة: لأن الخد يوضع عنها، ويقال: تخد وجه الرجل: إذا صارت فيه أخاديد جراح[2].

---

(١) معانى القرآن للفراء ٢٥٣/٣، التحرير والتنوير ٢٤٠/٣٠.

(٢) المفردات للراغب مادة (خد) ص ١٤٣، تفسير القرطبى ١٨٩/١٩، تفسير الرازى ١١٨/٣٢، تفسير الماوردى ٤٥٥/٤، خدائق الروح والريحان ٢٨٩/٣١، مجمع البيان ٧٠٤/٩، ٧٠٥.

من هم أصحاب الأخدود ؟

اختلف الناس فى تعيين أصحاب الأخدود، فمن قائل: هم الحبشة، وقائل: كانوا من النبط، وقيل: من بنى إسرائيل، وقيل: من أصحاب اليمن، وقيل: فى زمن تبع، وقيل: قوم كانوا أهل كتاب من بقايا المجوس.

قصة أصحاب الأخدود:

وبعد رسم هذا الجو، وفتح هذا المجال، تجئ الإشارة إلى الحادث، فى لمسات قلائل:

﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾

أخرج الإمام مسلم – رحمه الله – فى صحيحه: حدثنا هداب بن خالد، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا ثابت البنانى، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى، عن صهيب: أن رسول الله ﷺ قال:

كان ملك فيمن قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إنى كبرت، فابعث إلى غلاما أعلمه السحر، فبعث إليه غلاما يعلمه، فكان فى طريقه إذا سلك راهب، فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه، فكان إذا أتى

إعراب الآيات: (والسماء) الواو: حرف قسم وجر (السماء): مجرور بواو القسم، والجار والمجرور متعلق بفعل قسم محذوف وجوبا، تقديره: أقسم، وجملة القسم مستأنفة استئنافا نحويا (ذات البروج) صفة لـ (السماء) مجرور بالكسر (واليوم) الواو: عاطفة (اليوم) معطوف على السماء، أو: الواو حرف قسم و (اليوم) مقسم به مجرور بواو القسم، فيكون قسما مستقلا (الموعود) صفة (لـ اليوم)، (وشاهد ومشهود) مثل (واليوم الموعود)، (قتل) فعل ماض و (أصحاب الأخدود) نائب فاعل، والجملة الفعلية جواب القسم، لا محل لها من الإعراب، ولكنه محذوف الصدر، تقديره: أقسم بهذه الأشياء لقد قتل أصحاب الأخدود (حدائق الروح والريحان ٣٠٥/٣١، للشيخ محمد الأمين العلوى، دار طوق النجاة.

الساحر مر بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه.

فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسنى أهلى، وإذا هشيت أهلك فقل: حبسنى الساحر، فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل.

فأخذ حجرا فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة، حتى يمضى الناس، فرماها فقتلها، ومضى الناس.

فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب: أى بنى أنت اليوم أفضل منى، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلى، فإن ابتليت فلا تدل علي.

وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ويداوى الناس من سائر الأدواء

فسمع جليس الملك كان قد عمى، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: ما ههنا لك أجمع، إن أنت شفيتى، فقال: إنى لا أشفى أحدا، إنما يشفى الله، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك، فآمن بالله فشفاه الله.

فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من رد عليك بصرك ؟ قال: ربى، قال: ولك رب غيرى ؟ قال: ربى وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام.

فجئ بالغلام، فقال له الملك: أى بنى، قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل، فقال: إنى لا أشفى أحدا، إنما يشفى الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب.

فجئ بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدعا بالمنشار، فوضع المنشار فى مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه.

صم جئ بجليس الملك، فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فوضع المنشار فى مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه.

ثم جئ بالغلام، فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا، فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم

ذروته، فإن رجع عن دينه، وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل، فقال: اللهم اكفينهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشى إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك ؟ قال: كفانيهم الله.

فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه فى قرقور، فتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه، وإلا فاقذفوه، فذهبوا به، فقال: اللهم اكفينهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، وجاء يمشى إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك ؟ قال: كافنيهم الله.

فقال للملك: إنك لست بقاتلى حتى تفعل ما آمرك به، قال: ومخا هو ؟ قال: تجمع الناس فى صعيد واحد، وتصلبنى على جذع، ثم خذ سهما من كنانتى، ثم ضع السهم فى كبد القوس، ثم قل: بسم الله، رب الغلام، ثم ارمنى، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتنى.

فجمع الناس فى صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهما من كنانته، ثم وضع السهم فى كبد القوس، ثم قال: بسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم فى صدغه، فوضع يده فى صدغه فى موضع السهم، فمات.

فقال الناس: آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام

فأتى الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر ؟ قد والله نزل بك حذرك، قد آمن الناس.

فأمر بالأخدود فى أوفاه السكك فخذت، وأضرم النيران، وقال: من لم ريجع عن دينه فاحموه فيها، أو قيل له: اقتحم، ففعلوا، حتى جاءت امرأة ومعها صبى لها، فتقاعست أن تقع فيها، فقال له الغلام: يا أمه ! اصبرى، فإنك على الحق [1]

---

(١) صحيح مسلم – كتاب الزهد والرقائق باب (١٧) قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام، رقم الحديث ٣٠٠٥/٧٣، ط دار إحياء الكتب العربية، الحلبى، بتحقيق وضبط محمد فؤاد عبد الباقى. وانظر: الجامع الصحيح

مؤمناً إثر مؤمن، والمؤمنون يرون هذا ويقدمون عليه، دون أن ينال هذا العذاب من إيمانهم، أو يردهم عن دينهم الذى ارتضوه...

وفى هذا شاهد من شهود الإيمان المتمكن من القلوب، الراسخ فى النفوس... إنه أقوى من الجبال الراسيات، لا تنال متهـا الأعاصير، ولا تزخرها عانيات العواصف [1]

مشاهد قصة الأخدود:

تتحدث آيات السورة الكريمة عن مشاهد قصة الأخدود فى إيجاز يبلغ نهاية الإعجاز، فكما جاء القسم بثلاثة أشياء ﴿ وَالسَّمَاء ذَاتِ الْبُرُوجِ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ ثم جواب القسم ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ ﴾

ذكرت الآيات ثلاثة أنواع من المشاهد المتعلقة بالحادث، وهى ﴿ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴾ ثم ذكر السبب لذلك ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ... ﴾

ومناسبة الكلام لما قبله:

يقول العلامة البقاعى: ولما ذمهم سبحانه وتعالى، بين وجه ذمهم ببدل اشتمال من أخدودهم، فقال ﴿ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴾

المشهد الأول: تفسير حال الأخدود:

يقول الله تعالى ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴾ [٥]

كلمة (النار) بدل اشتمال من الأخدود لأن الأخدود مشتمل على النار، والرابط مقدر، أى: فيه، أو بدل كل من كل على تقدير محذوف أى: أخدود النار أو بدل بعض من كل.

وكان أصحاب الأخدود قد شقوه، وأوقدوا فيه النار حتى ملأوه ناراً، فصارت (النار) بدلاً من التعبير من (الأخدود) للإيحاء بتلهب النار فيه كله وتوقدها.

---

(١) التفسير القرآنى ١٦/١٥١٣.

و(الوقود) – بفتح الواو – اسم ما توقد به النار من حطب ونفط ونحوه، ولما حصل من اللهب... وقوله تعالى (ذات الوقود) وصف لها بغاية العظم، وارتفاع اللهب، وكثرة ما يوجبه من الحطب وأبدان الناس، ووجه إفادته ذلك: أنه لم يقل: " موقدة " بل جعلت ذات الوقود، أى: مالكته، وهو كناية عن زيادته زيادة مفرطة، لكثرة ما يرتفع به لهبها، وهو الحطب الموقد به. فمعنى (ذات الوقود) أنها لا يخمد لهبها، لأن لها وقوداً يلقى فيها كلما خبت[1].

المشهد الثانى: بيان حال الطغاة:

يقول الله سبحانه ﴿ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴾ [٦]

ظرف متعلق بـ " قتل.. " أى: استحقوا هذه النقمة وهذا الغضب، فى الحالة التى كانوا عليها وهم يرتكبون ذلك الإثم، ويزاولون تلك الجريمة، أى لعنوا وغضب الله عليهم حين أحرقوا بالنار، قاعدين حولها فى مكان قريب منها، مشرفين عليها من حافات الأخدود.

وضمير " هم " يعود على " أصحاب الأخدود " فإن الملك يحضر تنفيذه أمره ومعه ملأه. والقعود بمعنى الجلوس، كنى به عن الملازمة للأخدود، لئلا يتهاون الذين يخشون النار بتسعيرها، و(على) للاستعلاء المجازى، لأنهم لا يتعدون فوق النار ولكن حولها، وإنما عبر عن القرب والمراقبة بالاستعلاء[2].

---

(١) ينظر: روح المعانى ١١٤/٣٠، فى ظلال القرآن ٣٨٧٣/٦، تفسير القرطبى ١٨٩/١٩، التحرير والتنوير ٢٤٢/٣٠، تفسير أبى السعود ١٣٦/٩، الكشاف ٢٠٠/٤، حاشية الصاوى ٢٥٧/٤، فتح القدير ٤١٢/٥، الجواهر ١٠٧/٢٥، تنوير الأذهان ٥٢٣/٤، نظم الدرر ٣٧٨/٨، حدائق الروح والريحان ٢٩٢/٣١ – ٢٩٣، التفسير الشامل ٣٥٣٦.

(٢) ينظر: روح المعانى ١١٤/٣٠، فى ظلال القرآن ٣٨٧٣/٦، التحرير والتنوير ٢٤٢/٣٠، الكشاف ٢٠٠/٤، فتح القدير ٤١٢/٥، تفسير الرازى ١١٩/٣٢، حدائق الروح والريحان ٢٩٣/٣١.

المشهد الثالث: الشهادة على الجريمة

يقول الله تعالى: ﴿ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴾ [٧]

الجملة فى موضع الحال من ضمير " إذ هم عليها قعود " كأنه قيل: تعود شاهدين على فعلهم بالمؤمنين.

وفائدة هذه الحال: تفظيع ذلك القعود، وتعظيم جرمه، إذ كانوا يشاهدون تعذيب المؤمنين، لا يرأفون فى ذلك ولا يشمئزون.

وفى الإتيان بالموصول فى قوله سبحانه ﴿ ما يفعلون بالمؤمنين ﴾ من الإبهام ما يفيد أن الموقدى النار من الوزعة والعملة ومن يباشرون إلقاء المؤمنين فيها غلظة وقسوة فى تعذيب المؤمنين، وإهانتهم والتمثيل بهم، وذلك زائد على الإحراق.

ومعنى قوله (شهود) أى: يشهد بعضهم لبعض عند الملك بأن أحداً لم يقصر فيما أمر به أو يشهدون عنده على حسن ما يفعلون. أو يشهد بعضهم على بعض بذلك الفعل الشنيع يوم القيامة. أو يشهدون بذلك على أنفسهم، يوم تشهد جوارحهم بأعمالهم.

والمعنى: وهم على ما يفعلون بالمؤمنين حضور، لا يرقون لهم، لغاية قسوة قلوبهم...

وهو تعبير يصور موقفهم ومشهدهم، وهم يوقدون النار، ويلقون بالمؤمنين والمؤمنات فيها، وهم تعود على الكراسى حول النار قريبون من عملية التعذيب البشعة، يشاهدون أطوار التعذيب، وفعل النار فى الأجسام، فى لذة وسعار / كأنهم يثبتون فى حسهم هذا المشهد البشع الشنيع وفى هذا إيماء إلى قسوة قلوب الجبارية، وتمكن الكفر منهم...

وإشارة إلى قوة اصطبار المؤمنين، وشدة جلدهم، ورباط جأشهم،

واستمساكهم بدينهم [١]

جناية المؤمنين:

يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [٨]

مناسبة الكلام لما سبقه:

وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ يقول العلامة البقاعى: ولما كان هذا الفعل العظيم لا يكون من عاقل إلا لسبب يليق به، بين سبحانه أنه إنما لسبب يبعد عنه، فقال على طريقة:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهمبهن فلول من قراع الكتائب

وهذا نوع من أنواع البديع، وهو من باب تأكيد المدح بما يشبه الذم...كقول الشاعر:

وما نقموا من أمية إلاإنهم يحملون إن غضبوا

ونقم: نقمت الشيء ونقمته: إذا أنكرته، إما بالك أو بالعقوبة.. والنقمة: العقوبة

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٢٤٣/٣٠، روح المعانى ١١٤/٣٠ – ١١٥، تفسير أبى السعود ١٣٧/٩، الكشاف ٢٠٠/٤، البيضاوى ٥٨٥/٢، الصاوى ٢٥٧/٤، البحر ٤٥١/٨، الفتوحات الإلهية ٥١٣/٤، الجواهر ١٠٧/٢٥، الرازى ١١٩/٣٢، تنوير الأذهان ٥٢٣/٤، حدائق الروح والريحان ٢٩٤/٣١.

إعراب الآيات:

(النار) بدل اشتمال من (الأخدود) مجرور بالكسرة (ذات الوقود) مضاف ومضاف إليه (إذ) ظرف لما مضى من الزمان متعلق بـ (قتل) أى: لعنوا حين أحرقوا المؤمنين بالنار، قاعدين عليها (هم) مبتدأ (عليها) متعلق بـ (قعوزد) و(قعود) خبر المبتدأ.. والجملة الاسمية فى محل الجر بإضافة (إذ) إليها، و(هم) الواو عاطفة (هم) مبتدأ (على ما) متعلق بـ (شهود) وجملة (يفعلون) صلة (ما) الموصولة (بالمؤمنين) متعلق بـ (يفعلون) و(شهود) خبر المبتدأ... والجملة الاسمية فى محل الجر معطوفة على الجملة التى قبلها، أو فى محل نصب حال من الضمير المستكن فى (قعود) [حدائق الروح والريحان ٣٠٦/٣١]

قال ابن عباس ﷺ: ما كرهوا منهم

وقال مقاتل: ما عابوا منهم

وقال الزجاج: ما أنكروا عليهم ذنباً إلا إيمانهم بالله

والمعنى: وما عابوا ولا أنكروا إلا الإيمان، ونظيره قوله تعالى ﴿ هل تنقمون منا إلا أن أمنا بالله.... ﴾

أى: وما وجد هؤلاء الكفار الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات على المؤمنين والمؤمنات، ولا فعلوا بهم ما فعلوا بسبب، إلا من أجل أنهم آمنوا بالله.

وما كان للمؤمنين من ذنب عندهم ولا ثأر، فإذا كان لهم ذنب يعاقبون عليه، فذنبهم أنهم يؤمنون بالله تعالى الموصوف بصفات الغلبة والقهر، وبصفات الإنعام التى يحمد عليها، ومنه يرجى الثواب...فهذه جريمتهم أنهم ينقم من فاعله.

والتعبير بالمستقبل فى قوله سبحانه (إلا أن يؤمنوا) مع أن الإيمان وقع منهم فى الماضى، لأن تعذيبهم والإنكار عليهم ليس للإيمان الذى وجد فى الماضى، بل لدوامهم عليه فى المستقبل، إذ لو كفروا فى المستقبل لما عذبوا على ما مضى، فكأنه قال: إلا أن يستمروا على إيمانهم. والاستثناء هنا مفرغ مفصح عن براءتهم عما يعاب وينكر بالكلية [1]

تنزيل فى حكم التقرير:

إجراء الصفات الثلاث على اسم الجلالة، وهى (العزيز – الحميد –

---

(١) ينظر فى ذلك: التحرير والتنوير ٢٤٤/٣٠، فى ظلال القرآن ٣٨٧٣/٦، الجواهر ١٠٧/٢٥، البيضاوى ٥٨٥/٢، الكشاف ٢٠٠/٤، البحر ٤٥١/٨، البغوى ٤٧٠/٤، فتح القدير ٤١٢/٥- ٤١٣، الصاوى ٢٥٨/٤، الرازى ١٢٠/٣٢، التفسير القرآنى للقرآن ١٥١٤/١٦، تنوير الأذهان ٥٢٣/٤، مجمع البيان ٧٠٩/٩، حدائق الروح والريحان ٢٩٤/٣١- ٢٩٥، المفردات مادة: نقم ص ٥٠٤، روح المعانى ١١٥/٣٠.

الذى له ملك السموات والأرض) وتلك الأوصاف التى بها يستحق الإله أن يؤمن به ويعبد.

فوصفه تعالى بالعزيز ؛ وهو القادر الذى لا يغلب، والقاهر الذى لا يدفع، فيخشى عقابه، وبالجملة: فهو إشارة إلى القدرة التامة.

ووصفه تعالى بالحميد ؛ وهو الذى يستحق الحمد والثناء على ألسنة عبادة المؤمنين، وإن كان بعض الأشياء لا يحمده بلسانه، فنفسه شاهدة على أن المحمود فى الحقيقة هو هو، كما قال تعالى ﴿ وإن من شىء إلا يسبح بحمده ﴾، وهذا يرجى ثوابه.

وذلك إلى العلم التام، لأن من لا يكون عالماً بعواقب الأمور لا يمكنه أن يفعل الأشياء الحميدة، فالحميد يدل على العلم التام من هذا الوجه. ووصفه تعالى بـ ﴿ الذى له ملك السموات والأرض ﴾ وهو مالكها والقيم بهما، ولو شاء لأفناهاما، وهذا إشارة إلى الملك التام.

وإنما آخر هذه الصفة عن الأوليين ؛ لأن الملك التام لا يحصل إلا عند حصول كمال القدرة والعلم.فثبت أن من كان موصوفاً بهذه الصفات كان هو المستحق للإيمان به، وغيره لا يستحق ذلك البتة، فكيف أولئك الكفار الجهال بكون مثل هذا الإيمان ذنباً...

فالله هو العزيز: القادر على ما يريد، الحميد: المستحق للحمد فى كل حال، والمجحود بذاته ولم لم يحمده الجهال، وهو الحقيق بالإيمان وبالعبودية له، وهو وحده الذى له ملك السموات والأرض، وهو يشهد واعلم بأنه تعالى أشار بقوله (العزيز) إلى أنه تعالى لو شاء لمنع أولئك الجبابرة من تعذيب أولئك المؤمنين، ولأطفأ نيرانهم، ولأمناهم.

وأشار بقوله (الحميد) إلى أن المعتبر عنده سبحانه فى الأفعال عواقبها، فهو وإن كان قد أمهل لكنه ما أهمل، فإنه تعالى يوصل ثواب أولئك المؤمنين إليهم، وعقاب أولئك الكفرة لهم، ولكنه تعالى لم يعاجلهم

بذلك، لأنه لم يفعل إلا على حسب المشيئة، أو المصلحة على سبيل التفضل فلهذا السبب قال ﴿ والله على كل شيء شهيد ﴾.

فهو عظيم للمطيعين، ووعيد شديد للمجرمين

وقوله سبحانه ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ إشعار بمناط إيمان المؤمنين.

وقوله جل شأنه ﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ وعدلهم، ووعيد لمعذبيهم، فإن علم الله الجامع لصفات الجلال والجمال بجميع الأشياء التى من جملتها أعمال الفريقين، يستدعى توفير جزاء كل منهما ولكونه تذييلاً لذلك واللائق به الاستقلال، جيء فيه بالاسم الجليل دون الضمير. فذكر هذه الصفات الثلاث لزيادة تقرير أن ما نقموه منهم ليس من شأنه أن ينقم، بل هو حقيق بأن يمدحوا به، لأنهم آمنوا برب حقيق بأن يؤمن به، لأجل صفاته التى تقتضى عبادته ونبذ ما عداه، لأنه ينصر مواليه ويثيبهم، ولأنه يملكهم، وما عداه ضعيف العزة، لا يضر ولا ينفع ولا يملك منهم شيئاً، فيقوى التعجب منهم بهذا.

فقوله سبحانه ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ إشعار بما يستحق أن يؤمن بصفة أعلى، فقال ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ فعلى كل من فيهما عبادته، والخضوع له والخشوع.

فإذن هؤلاء الناقمون غير محقين، وهم أهل للانتقام، لأن من هذا وصفه حقيق أن يعبد وأن يطاع، لا أن يعاب من عبده أو خشع له.

وجملة ﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ تذييل بوعيد للذين اتخذوا الأخدود، ووعد للذين عذبوا فى جنب الله، ووعيد لأمثال أولئك من كفار قريش وغيرهم ممن تصدوا لأذى المؤمنين، ووعد للذين عذبهم المشركون مثل بلال وعمار وصهيب وسمية.

قال الزجاج: أعلم الله تعالى بقصة قوم بلغت بصيرتهم وحقيقة إيمانهم

إلى أن صبروا على أن يحرقوا بالنار فى الله.

فقد كان فى مكنة المؤمنين أن ينجوا بحياتهم فى مقابل الهزيمة لإيمانهم، ولكن كم كانوا يخسرون أنفسهم فى الدنيا قبل الآخرة، وكم كانت البشريو كلها تخسر، كم كانوا يخسرون وهم يقتلون هذا المعنى الكبير، معنى زهادهة الحياة بلا عقيدة، وبشاعتها بلا حرية، وانحطاطها حين يسيطر الطغاة على الأرواح بعد سيطرتهم على الأجساد.

إنه معنى كريم جداً، ومعنى كبير جداً، هذا المعنى الذى ربحوه وهم فى الأرض، ربحوه وهم يجدون مس النار فتحترق أجسادهم، وينتصر هذا المعنى الكريم الذى تزكيه النار.... وبعد هذا لهم عند ربهم حساب، ولأعدائهم الطغاة حساب...يعقب بعد السياق.

وهذه لمسة تطمئن قلوب المؤمنين، وتهدد العتاة المجبرين، فالله كان شهيداً، وكفى بالله شهيداً.

وتنتهى رواية الحادث فى هذه الآيات القصار، التى تملأ القلب بشحنة من الكراهية، لبشاعة الفعلة وفاعلها، كما تستجيش فيه التأمل فيما وراء الحادث ووزنه عند الله، وما استحقه من نقمته وغضبه، فهو أمر لم ينته بعد عند هذا الحد، ووراءه فى حساب الله ما وراءه.

كذلك تنتهى رواية الحادث وقد ملأت القلب بالروعة، روعة الإيمان المستعلى على الفتنة، والعقيدة المنتصرة على الحياة، والانطلاق المتجرد من أوهان الجسم وجاذبية الأرض [1]

---

(١) ينظر فى ذلك: تفسير أبى السعود ١٣٧/٩، روح المعانى ١١٥/٣٠، التحرير والتنوير ٢٤٤/٣٠، الكشاف ٢٠٠/٤، الجواهر ١٠٧/٢٥، فى ظلال القرآن ٣٨٧٣/٦ - ٣٨٧٤، الرازى ١٢٠/٣٢، تنوير الأذهان ٥٢٤/٤، مجمع البيان ٧٠٩/٩، حدائق الروح والريحان ٢٩٥/٣١ - ٢٩٦، نظم الدرر ٣٧٩/٨.

إعراب الآيات :

تعميم بعد تخصيص:

يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾ [١٠]

إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾

مناسبة الكلام لما سبقه:

قال الرازى: اعلم أنه سبحانه لما ذكر قصة أصحاب الأخدود، أتبعها بما يتفرع عليها من أحكام الثواب والعقاب.

- أن الله سبحانه لما ذكر قصة الأخدود، وبين ما فعلوه من الإيذاء والتنكيل بالمؤمنين، وذيل ذلك بما يدل على أنه لو شاء لمنع بعزته وجبروته أولئك الجبابرة عن هؤلاء المؤمنين، وأنه إن أمهل هؤلاء الفجرة عن العقاب فى الدنيا.. فهو لم يمهلهم، بل أجل عقابهم ليوم تشخص فيه الأبصار... ذكر ما أعد للكفار من العذاب الأليم جزاء ما اجترحت أيديهم من السيئات التى منها إيذاء المؤمنين، وما أعد للمؤمنين من جميل الثواب، وعظيم الجزاء.

- لما ختم الكلام السابق بقوله ﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾

(وما نقموا) الواو عاطفة، أو حالية، و(ما) نافية، (انقموا) فعل وفاعل (منهم) متعلق بـ (نقموا) والجملة معطوفة على ما قبلها، أو حال من فاعل (يفعلون)، (إلا) أداة استثناء مفرغ، وجملة (أن يؤمنوا بالله) مع (أن) المصدرية فى تأويل مصدر منصوب على المفعولية لـ (نقموا) أى: ما عابوا منهم، وما أنكروا منهم إلا الإيمان بالله سبحانه، و(بالله) متعلق بـ (يؤمنوا)، (العزيز الحميد) صفتان للجلالة، (الذى) صفة ثالثة له، و(له) خبر مقدم (ملك السموات) مبتدأ مؤخر (والأرض) معطوف على (السموات) والجملة الاسمية صلة الموصول (والله) مبتدأ (على كل شىء شهيد) متعلق بـ (شهيد) الخبر، والجملة الاسمية مستأنفة مقررة لما قبلها. [حدائق الروح والريحان ٣٠٦/٣١].

أى: أتم شهادة، لا يغيب عنه شيئاً أصلاً، ولا يكون شىء ولا يبقى إلا بتدبيره، ومن هو بهذه الصفات العظيمة لا يهمل أولياءه أصلاً، بل لابد أن ينتقم لهم من أعدائه، ويعليهم بعلائه، ولذلك قال مستأنفاً جواباً لمن يقول: فما فعل بهم ؟ مؤكداً لإنكار الكفار ﴿ إن الذين فتنوا ﴾ أى: خالطوا من الأذى بما لا تحتمله القوى، فلا بد أن يميل أو يحيل فى أى زمان كان، ومن قوم كانوا (المؤمنين والمؤمنات) أى: ذوى الرسوخ فى وصف الإيمان [١].

وإنما لم يدفع البلاء قبل الابتلاء

لأن أهل الولاء لا يخلون عن البلاء

* **والمعنى:** إن الذين امتحنوا المؤمنين والمؤمنات بالتعذيب ليردوهم عن دينهم، وثبتوا على كفرهم، ولم يتوبوا حتى أخذهم الموت، أعد الله لهم عذاباً أليماً فى جهنم بالحريق.

وقد كان الضالون من كل أمة يؤذون أهل الحق والدعاة إليه، حرصاً على ما ألفوا من الباطل، وتشيعاً لما وجدوا عليه أنفسهم وآبائهم الأقربين على غير بصيرة، ولا استشارة للعقل السليم، ولا يزال هذا شأنهم إلى يوم الدين [١]

وتبدأ الآية الكريمة بحرف (إن) تأكيداً للرد على المشركين الذين ينكرون أن تكون عليهم تبعة من فتن المؤمنين و(فتنوا) الفتن: المعاملة بشدة، والإيقاع فى العناء الذى لا يجد المفتون منه مخلصاً إلا بعناء، أو ضر أخف، أو حيلة.

وأصل الفتن: إدخال الذهب فى النار لتظهر جودته من رداءته،

---

(١) ينظر: تفسير الرازى ١٢٠/٣٢، حدائق الروح ٢٨٥/٣١، نظم الدرر ٣٧٩/٨.

(١) ينظر: حدائق الروح ٢٩٧/٣١.

واستعمل فى إدخال الإنسان النار، وتارة يسمون ما يحصل عنه العذاب فيستعمل فيه، وتارة فى الاختبار.وجعلت الفتنة كالبلاء، فى أنهما يستعملان فيما يدفع إليه الإنسان من شدة ورخاء. والفتنة تكون من الله تعالى ومن العبد، ومتى كان من الله يكون على وجه الحكمة، ومن كان من الإنسان بغير أمر الله يكون بضد ذلك (٢)

المراد بالذين فتنوا المؤمنين:

قال الرازى: يحتمل أن يكون المراد كل من فعل ذلك، وهذا أولى، لأن اللفظ عام والحكم، فالتخصيص ترك للظاهر من غير دليل.

وقال أبو حيان: والظاهر أنه عام فى كل من ابتلى المؤمنين والمؤمنات بتعذيب أو أذى.

وقال الزمخشرى:يجوز أن بـ (الذين فتنوا) أصحاب الأخدود خاصة...

قال أبو حيان: ولا ينبغى أن يجوز الذى جوزه، لأن فى الآية (ثم لم يتوبوا) وأولئك) المحرقون لم ينقل لنا أن أحداً منهم تاب، بل الظاهر لم يلعنوا إلا وهم ماتوا على الكفر.

وقال ابن عطية: " ثم لم يتوبوا " يقوى أن الآيات قريش.

هذا، وقد اقتصر أبو حيان رأى واحد للزمخشرى، وفى الكشاف – أيضاً – ويجوز أن يزيد (الذين فتنوا المؤمنين) أى: بلوهم بالأذى – على العموم.

والأظهر فى ذلك العموم، ويدخل فيه المذكرون دخولاً أولياً.

وقيل: المراد بالموصول كفار قريش الذين عذبوا المؤمنين والمؤمنات من هذه الأمة بأنواع العذاب..

وهذا يليق بكفار قريش، لأن أصحاب الأخدود لا يلاقى قوله تعالى

---

(٢) المفردات، مادة: فتن ص ٣٧١ – ٣٧٢.

﴿ ثم لم يتوبوا ﴾ إذ هو تعريض بالترغيب فى التوبة، ولا يلاقى فى دخول الفاء فى خبر (إن) من قوله (فلهم عذاب جهنم)

وهذا – على ما فيه – لا يعكر على أظهريته العموم..

وعطف (المؤمنات): للتنويه بشأنهن، لئلا يظن أن هذه المزية خاصة بالرجال.

ولزيادة تفظيع فعل الفاتنين، بأنهم اعتدوا على النساء، والشأن أن لا يتعرض لهن بالغلظة.

و (ثم) فى قوله سبحانه ﴿ ثم لم يتولوا ﴾ للتراخى الرتبى، لأن الاستمرار على الكفر أعظم من فتنة المؤمنين والفاء فى قوله (فلهم) دخلت فى خبر (إن) لأن اسمها وقع موصولا، والموصول يضمن معنى الشرط فى الاستعمال كثيرا، كأنه قيل: من يفتن المؤمنين فله كذا.

و(جهنم) اسم لنار الله الموقدة، قيل: وأصلها فارسى معرب، وهو جهنام.

و (الحريق) يقال: أحرق كذا فاحترق، والريق: الناتر، والإحراق: إيقاع نار ذات لهيب فى الشئ، ومنه استعير " أحرقنى بلومه " إذا بالغ فى أذيته بلوم [1].

والحريق: نار أخرى زائدة فى الإحراق... أى: فلهم عذاب جهنم بالزمهرير، البرد، والحريق، الحر، والزج بالكفار فى جهنم عذاب قبل أن يذوقوا حريقها، لما فيه من الخزى.

ويجوز أن يراد بالثانى: مضاعفة العذاب لهم، كقوله تعالى ﴿ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾[النحل: ٨٨]

وهذا وعيد من الله سبحانه وتعالى لكل من تعرض لأوليائه المؤمنين والمؤمنات بأذى، يريد بذلك أن يصرفهم عن الإيمان، أو يصدهم عنهم..

---

(١) المفردات مادة (جهنم) ص ١٠٢، ومادة حرق ص ١١٤.

إنذار من الواحد القهار لأصحاب العتو والاستكبار، الذين يريدون أن يطفئوا نور ربنا بأفواههم.. فإن يتوبوا يك خيرا لهم، وإلا فالنار مثوى لهم[١].

فذلكة:

فى مجمع البيان: يسأل فيقال: كيف فصل بين عذاب جهنم وعذاب الحريق وهما واحد ؟

أجيب عن ذلك: بأن المراد لهم أنواع العذاب فى جهنم سوى الإحراق مثل الزقوم والغسلين والمقامع، ولهم مع ذلك الإحراق بالنار[٢].

وفى الظلال: ﴿ إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ﴾ ومضوا فى ضلالتهم سادرين، ولم يندموا على ما فعلوا ﴿ ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق ﴾ وينص على (الحريق) وهو مفهوم من(عذاب جهنم)... ولكنه ينطق به، وينص عليه، ليكون مقابلا للحريق فى الأخدود، وبنفس اللفظ الذى يدل على الحدث..

ولكن أين حريق من حريق ؟ فى شدته أو مدته، وحريق الدنيا يوقدها الخلق، وحريق الآخرة يوقدها الخالق، وحريق الدنيا لحظات وتنتهى، وحريق الآخرة آباد لا يعلمها إلا الله.

ومع حريق الدنيا رضى الله عن المؤمنين، وانتصار لذلك المعنى الإنسانى الكريم.

ومع حريق الآخرة غضب الله، والارتكاس الهابط الذنيم [٣].

---

(١) ينظر: تفسير الرازى ١٢١/٣٢، البحر ٤٥١/٨، الكشاف ٢٠١/٤، الحرير والتنوير ٢٤٥/٣٠، ٢٤٦، روح المعانى ٣٠ /١١٥، ١١٦، فتح القدير ٤١٣/٥، تفسير أبى السعود ١٣٧/٩، الميزان ٢٥٣/٢٠، مجمع البيان ٧١٠/٩، حدائق الروح والريحان ٢٩٦/٣١، ٣٩٧.

(٢) مجمع البيان ٧١٠/٩، الميزان ٢٥٢/٢٠، عن المجمع.

(٣) فى ظلال القرآن ٣٨٧٤/٦.

قد عد من الذين فتنوا المؤمنين بمكة: أبو جهل، رأس الفتنة ومسعرها، وأمية بن خلف، وصفوان بن أمية، والأسود بن عبد يغوث، والوليد بن المغيرة، وأم أنمار...

والمفتنون: عد منهم بلال بن رباح، كان عبدا لأمية بن خلف فكان يعذبه، وأبو فكيهة، كان عبدا لصفوان بن أمية، وخباب بن الأرت، كان عبدا لأم أنمار، وعمار بن ياسر، وأبو ياسر، وأحوه عبد الله، كانوا عبيدا لأبى حذيفة بن المغيرة، فوكل بهم أبا جهل، وعامر بن فهيرة، كان عبدا لرجل من تميم.

والمؤمنات المفتونات: منهن حمامة أم بلال، أمة أمية بن خلف، وزنيرة، وأم عنيس، كانت أمة للأسود بن عبد يغوث، والنهدية وابنتها، كانتا للوليد بن المغيرة، ولطيفة، ولبينة بنت فهيرة، كانت لعمر بن الخطاب قبل أن يسلم، كان عمرها يضربها، وسمية أم عمار بن ياسر، كانت لعم أبى جهل[1].

---

(١) التحرير والتنوير ٣٠/٢٤٥.

حسن المقابلة:

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴾ (١).

المعنى العام: إن الذين أقروا بوحدانية الله تعالى، وعملوا الصالحات، ائتمارا بأوامره، وكنوا عن نواهيه ابتغاء رضوانه، لهم فى الآخرة بساتين تجرى ن تحت أشجارها، الأنهار، وهذا هو الظفر الكبير لهم، كفاء ما قدموا من إيمان وطاعة لربهم (٢).

مناسبة الآية لما قبلها:

يقول العلامة البقاعى: لما ذكر سبحانه عقاب المعاندين بادئا به، لأن المقام له، أتبعه ثواب العابدين، فقال مؤكدا لما لأعدائه من إنكار لك (إن الذين آمنوا...) الآية.

ويقول الرازى: اعلم أنه تعالى لما ذكر وعيد المجرمين، ذكر وعد المؤمنين.

وبعد أن ذكر سبحانه ما أعد لأعدائه من النكال والعذاب الأليم... أرشد إلى ما يكون لأوليائه من النعيم المقيم، ليكون ذلك أنكى للأعداء وأشد فى غيظهم، وابعث للأسى والحزن فى نفوسهم.

هذه الآية وعد جميل للمؤمنين يطيب به نفوسهم، كما أن ما قبله

---

(١) المقابلة: هى ذكر كلام على ضد معنى كلام سبقه، لتلفت النفس إلى المقارنة بينهما كما قيل: وبالضد تتميز الأشياء.

(٢) حدائق الروح والريحان ٢٩٩/٣١.

وعيد شديد للكفار الفاتنين المعذبين [١].

(إن)التأكيد هنا للاهتمام بالخبر (الذين آمنوا) صدقوا بالله تعالى وبرسله الكرام (وعملوا الصالحات) تصحيقا لإيمانهم وتحقيقا له... أى: الجامعين بين الإيمان والعمل الصالح والذى من جملته الصبر على أذى الكفار.

وهذا على العموم للمؤمنين والمؤمنات، ويدخل فيهم المؤمنون المعذبون بالنار ودخولا أوليا.

ولما كان الحال هو الحث على التوبة فى قوله سبحانه ﴿ ثم لم يتوبوا ﴾ عبر هنا عن التوبة بالإيمان والعمل الصالح.

وقوله تعالى ﴿ لهم ﴾ بدون الفاء – كما فى الآية السابقة:

إما لأن ذلك بل على جواز الأمرين، دخول الفاء وعدمه.

وقال البقاعى: ولما كان الله سبحانه من رحمته قد تعمد أولياء بعنايته، ولم يكلهم إلى أعمالهم، ولم يجعلها سبب سعادتهم، لم يقرن بافلاء قوله (لهم).

وهنا ذكرت الآية فى مقابل ما يلقى الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات من عذاب... ما أعده الله تعالى للذين آمنوا وعملوا الصالحات بأن (لهم جنات) جمع جنة، وهى كل بستان ذى شجر يستر بأشجار الأرض... وهذه الجنات فى مقابلة النار.

﴿ تجرى من تحتها الأنهار ﴾ أى: تجرى من تحت أشجارها وفوق أرضها... يتلذذون ببردها.. فى نظير ذلك الحر الذى صبروا عليه فى الدنيا، ويروقهم النظر إليها مع خضرة الجنان، والوجوه الحسان، للسرور الجالية للآخران.

---

(١) ينظر: نظم الدرر ٣٨٠/٨، تفسير الرازى ١٢١/٣٢، حدائق الروح والريحان ٢٩٨/٣١، حاشية الصاوى ٢٥٩/٤، الميزان ٢٥٢/٢٠.

ولما ذكر سبحانه الذى يسر النفس، ويذهب البؤس، فذلكه بقوله:

(ذلك) أى: الأمر العالى الدرجة، العظيم البركة.

(الفوز) وهو الظفر بالخير مع حصول اللامة.

(الكبير) كبرا لا تفهمون منه أكثر من ذكره بهذا الوصف، على سبيل الإجمال، ذلك أن من كبره: أن هذا الوجود كله يصغر عن أصغر شئ منه[1].

حسن ختام:

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله: ويتمثل رضا الله وإنعامه على الذين آمنوا وعملوا الصالحات فى الجنة: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾.. وهذه هى النجاة الحقيقية: ﴿ ذلك الفوز الكبير ﴾ والفوز: النجاة والنجاح، والنجاة من عذاب الآخرة فوز، فكيف بالجنات تجرى من تحتها الأنهار ؟

بهذه الخاتمة يستقر الأمر فى نصابه، وهى الخاتمة الحقيقية للموقف، فلم ين ما وقع منه فى الأرض إلا طرفا من أطرافه، لا يتم به تمامه، وهذه هى الحقيقة التي يهدف إليها هذا التعقيب الأول على الحادث، لتستقر فى قلوب القلة المؤمنة فى مكة، وفى قلوب كل فئة مؤمنة تتعرض للفتنة على مدار القرون[2].

فذلكة:

الإشارة بقوله تعالى ﴿ ذلك الفوز ﴾ إلى مؤنث، وهو قوله ﴿ جنات تجرى من تحتها الأنهار ﴾ فالإشارة هنا إلى الجنة الموصوفة بما ذكر والتذكير:

---

(١) ينظر: نظم الدرر ٨/٣٨٠، حدائق الروح والريحان ٣١/٢٩٨.

(٢) فى ظلال القرآن ٦/٣٨٧٤.

إما لتأويلها بما ذكر، للإشعار بأن مدار الحكم عنوانها الذى يتنافس فيه المتنافسون، فإن اسم الإشارة متعرض لذات المشار إليه، من حيث اتصافه بأوصافها المذكورة، لا لذاته فقط.

وأيا كان فمما فيه من البعد: للإيذان بعلو درجته، وبعد منزلته فى الفضل والشرف(١).

ويقول الرازى: إنما قال سبحانه ﴿ ذلك الفوز ﴾ ولم يقل " تلك " لدقيقة لطيفة وهى: أن قوله (ذلك) إشارة إلى إخبار الله تعالى بحصول الجنات، ولو قال " تلك " لكانت الإشارة إلى نفس الجنات، وإخبار الله تعالى عن ذلك يدل على كونه راضيا، والفوز الكبير هو رضا الله، لا حصول الجنات (٢).

إعراب الآيات:

(إن الذين): ناصب واسمه، وجملة (فتنوا) صلة الموصول

(المؤمنين) مفعول به (والمؤمنات) معطوف على(المؤمنين)(ثم) حرف عطف وترتيب مع تراخ (لم) حرف نفى وجزم (يتوبوا) مجزوم بحذف النون، والجملة معطوف على جملة (فتنوا) (فلهم) الفاء رابطة الخبر بالمبتدأ جوازا، وإن كان منسوخا لشبه المبتدأ بالشرط فى العموم (لهم) خبر مقدم (عذاب جهنم) مبتدأ مؤخر، والجملة من المبتدأ والخبر فى محل الرفع خبر (إن) مستأنفة مسوقة لذكر وعيد المجرمين أولا، ثم يردفه بذكر ما أعد للمؤمنين، (ولهم عذاب الحريق) عطف جملة على جملة مثلها،(إن الذين) ناصب واسمه (آمنوا) صلة، (وعملوا الصالحات) عطف على (آمنوا)، (لهم) خبر مقدم (جنات) مبتدأ

---

(١) ينظر:/ تفسير أبى السعود ١٣٨/٩، روح المعانى ١١٦/٣٠.

(٢) ينظر: تفسير الرازى ١٢١/٣٢، حدائق الروح والريحان ٢٩٩/٣١.

مؤخر (تجرى من تحتها الأنهار) الجملة صفة لـ (جنات) (ذلك الفوز) مبتدأ وخبر (الكبير) صفة لـ (الفوز) والجملة مستأنفة مسوقة لبيان علو درجة ما نالوا[١].

إنذار لجميع الكفار:

يقول الله تبارك وتعالى ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ [١٢].

مناسبة الآية لما قبلها:

- الآية استئناف خوطب به النبى ﷺ إيذانا بأن لكفار قومه نصيبا موفورا من مضمونه، كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية، مع الإضافة إلى ضميره ﷺ[٢].

- جملة (إن بطش ربك لشديد) علة لمضمون قوله ﴿ إن الذين فتنوا المؤمنين.. ﴾ إلى قوله ﴿ ولهم عذاب الحريق ﴾ أى: لأن بطش الله شديد على الذين فتنوا الذين آمنوا. فموقع (إن) فى التعليل يغنى عن فاء التسبب[٣].

- أن الله سبحانه لما ذكر وعيد الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات أولا، ووعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثانيا، ووصف ما أعد لهم من الثواب كفاء أعمالهم... أردف ذلك كله بما يدل على تمام قدرته على ذلك، ليكون ذلك بمثابة توكيد لما سبق من الوعيد والوعد. فالملك لا يعظم سلطانه وهبته فى النفوس إلا بأمرين، ووصفين ثابتين:

- ١- الجود الشامل، والإنعام الكامل، وبذا يرجى خيره.

- ٢- الجيوش الجرارة، والأساطيل العظيمة التي توقع بأعدائه،

---

(١) حدائق الروح ٣٠٧/٣١.

(٢) ينظر: تفسير أبى السعود ١٣٨/٩، روح المعانى ١١٧/٣٠، حدائق الروح ٢٩٩/٣١، فتح القدير ٤١٣/٥.

(٣) التحرير والتنوير ٢٤٧/٣٠.

وتنكل بهم، وبذلك يهاب جنابه وإليها أشار سبحانه بقوله ﴿ العزيز الحميد ﴾. وهنا زاد الأمر إيضاحا بقوله ﴿ إن بطش ربك لشديد ﴾ [١].

- من قوله تعالى ﴿ إن بطش ربك لشديد ﴾ إلى تمام سبع آيات، تحقيق وتأكيد لما تقدم الوعيد والوعد[٢].

- ولما كان لا يثيب ويعذب على هذا الوجه إلا من كان فى غاية العظمة، قال معللا لفعله ذلك دالا بذلك التعلل لى ما له من العظمة التي تتقاصر الأفكار دون عليائها، مؤكدا لما للأعداء من الإنكار ﴿ إن بطش ربك لشديد ﴾ [٣].

- كأن فى الوعد السابق المزيد من تثبيت البشرى فى قلب النبى ﷺ والمؤمنين وأن الله مخزى الكافرين، وموهن كيد الجبارين، ومنتقم ممن يشاقق الرسول ويؤذى أولياء المتقين[٤].

ومعنى الآية الكريمة:

يقول الله تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ﴿ إن بطش ربك لشديد ﴾ يا محمد لمن بطش به من خلقه، وهو انتقامه ممن انتقم منه (لشديد) وهو تحذير من الله تعالى لقوم رسوله محمد ﷺ أن يحل بهم من عذابه ونقمته، نظير الذى حل بأصحاب الأخدود على كفرهم به، وتكذيبهم رسوله، وفتنتهم المؤمنين والمؤمنات منهم[٥].

والبطش: تناول الشئ بصولة، قال تعالى ﴿ وإذا بطشتم بطشتم جبارين ﴾ [الشعراء: ١٣٠] ويستعار للعقاب المؤلم الشديد.

---

(١) حدائق الروح ٢٨٥/٣١، الرازى ١٢٢/٣٢، الجواهر ١٠٧/٢٥، ١٠٨.

(٢) الميزان فى التفسير ٢٥٢/٢٠.

(٣) نظم الدرر ٣٨٠/٨.

(٤) فتح الرحمن ٢٩٠٤/٧.

(٥) تفسير الطبرى ١٣٧/٣٠.

قال ابن عباس ﷺ: إن آخذه بالعذاب إذا أخذ الظلمة لشديد، كقوله تعالى ﴿ إن أخذه أليم شديد ﴾ [هود: ١٠٢] (١).

والبطش: هو أخذ بعنف، وحيث وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم، وهو بطشه تعالى بالجبابرة والظلمة، وأخذه إياهم بالعذاب والانتقام، وإن كان بعد إمهال فإنه عن حكمة لا عن عجز.

وفى هذا وعيد شديد للمشركين، وشدا لأزر النبى ﷺ وإلفاته إلى، هؤلاء المشركين فى قبضة الله، لا يفلتون منه أبدا... وفى ذلك إرهاب لقريش ومن معها، وتعزية للرسول ﷺ ومن اتباعه يقول العلامة البقاعى: ﴿ إن بطش ربك ﴾ أى: أخذ المحسن إليك، المدبر لأمرك، أعداء الدين بالعنف والسطوة، وغاية الشدة (لشديد) أى: شدة يزيد عنفها على ما فى البطش من العنف المشروط فى تسميته، فهو عنف مضاعف(٢).

تعقيب:

ويقول الأستاذ سيد قطب: ثم تتوالى التعقيبات... ﴿ إن بطش ربك لشديد ﴾.. وإظهار حقيقة البطش وشدته فى هذا الموضع هو الذى يناسب ما مر فى الحادث، من مظهر البطش الصغير الهزيل، الذى يحسبه أصحابه ويحسبه الناس فى الأرض كبيرا شديدا.

فالبطش الشديد هو بطش الجبار الذى له ملك السموات والأرض) لا بطش الضعاف المهازيل الذين يتسلطون على رقعة من الأرض محمدودة، فى رقعة من الزمان محدودة.

ويظهر التعبير العلاقة بين المخاطب وهو الرول ﷺ - - والقائل - وهو الله عز وجل، وهو يقول له (إن بطش ربك) ربك الذى تنتسب إلى

---

(١) تفسير البغوى ٤/٤٧١.

(٢) نظم الدرر ٨/٣٨٠.

ربوبيته، وسندك الذى تركن إلى معونته... ولهذه النسبة قيمتها فى هذا المجال الذى يبطش فيه الفجار بالمؤمنين [١].

زيادة توكيد أمر القدرة:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴾ [١٣]

مناسبة الآية لما سبقها:

-لما كان هذا البطش لا يتأتى إلا لكامل القدرة، دل على كمال قدرته واختصاصه بذلك [٢] بقوله، مؤكداً لما لهم من الإنكار: (إنه)، وزاد التأكيد بمبتدأ آخر، ليدل على الاختصاص، فقال (هو) أى: هو وحده (يبدىء) أى: يوجد ابتداء أى خلق أراد، عل أى هيئة أراد، (ويعيد) أى: ذلك المخلوق بعد إفنائه فى أى وقت أراد... وغيره لا يقدر على شىء من ذلك[٣]

- الآية تصلح لأن تكون استئنافاً ابتدائياً، انتقل به من وعيدهم بعذاب الآخرة إلى توعدهم بعذاب فى الدنيا يكون من بطش الله، أردف به وعيد عذاب الآخرة، لأنه أوقع فى قلوب المشركين، إذ هم يحسبون أنهم فى أمن من العقاب، إذ هم لا يصدقون بالبعث، فحسبوا أنهم فازوا بطيب الحياة الدنيا.

والمعنى: أن الله تعالى يبطش بهم فى البدء والعود، أى: فى الدنيا والآخرة.وتصلح لأن تكون تعليلاً لجملة ﴿ إن بطش ربك لشديد ﴾ لأن الذى يبدىء ويعيد قادر على إيقاع البطش الشديد فى الدنيا وهو الإبداء، وفى الآخرة وهو إعادة البطش.

---

(١) فى ظلال القرآن ٣٨٧٥/٦.

(٢)نظم الدرر ٣٨٠/٨ - ٣٨١.

(٣) قال ابن عاشور: وضمير الفصل فى قوله (هو يبدىء) للتقوى، أى: لتحقيق الخبر، ولا موقع للقصر هنا، إذ ليس فى المقام رد على من يدعى أن غير الله تعالى يبدىء ويعيد [التحرير والتنوير ٢٤٨/٣٠] وقال البقاعى: وليس هذا الضمير بفصل، لأنه لا يكون إلا والخبر أو شبيه بها [نظم الدرر ٣٨١/٨].

وتصلح لأن تكون إدماجاً للاستدلال على إمكان البعث، أى: أن الله يبدىء الخلق ثم يعيده، فيكون كقوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [الروم / ٢٧] (١).

أخرج ابن جرير، عن ابن عباس ﷺ: (إنه هو يبدىء ويعيد ﴾ قال: يبدىء العذاب ويعيده قال: يبدىء العذاب ويعيده... ورجحه الطبرى وأخرج عن الضحاك وابن زيد: يبدىء الخلق بالإنشاء، ويعيده يوم القيامة.

وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: يبدىء الخلق ثم يعيده(٢).

معنى الآية:

إنه تعالى يخلق الخلق ابتداء، ثم يعيدهم بعد أن صيرهم ترابا، وإذ كان قادرا على البدء والإعادة.. فهو قادر على شديد البطش بهم، لأنهم تحت قبضته، وخاضعون لسلطانه.

فكأنه سبحانه يقول: إن مرجعكم إلى ربكم، فإذا لم يعاقبكم فى هذه الحياة على ما تعملون مع أوليائه، فلا تظنوا أن ذلك إهمال منه أو تقصير فى شأنهم، بل أخر ذلك ليوم ترجعون إليه، وهو اليوم الذى سيكون فيه البطش والانتقام منكم.

وعلى ما نسب لابن عباس، يكون المعنى: إنه يبدى البطش والعذاب فى الآخرة، ثم يعيده فيها، كقوله تعالى ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ [النساء ٥٦] (٣).

---

(١) التحرير والتنوير ٢٤٨/٣٠، وينظر: تفسير أبى السعود ١٣٨/٩، روح المعانى ١١٧/٣٠، مراح لبيد ٤٣٨/٢، حدائق الروح ٢٩٩/٣١ – ٣٠٠، الميزان ٢٥٣/٢٠.

(٢) ينظر: تفسير الطبرى ١٣٨/٣٠، الدر المنثور ٥٥٧/٦، فتح القدير٥/ ٤١٣، ٤١٧، تفسير القرطبى ١٩٥/١٩، البحر المحيط ٤٥٠/٨، تفسير الرازى ١٢٢/٣٢، تنوير الأذهان ٥٢٥/٤.

(٣) ينظر: حدائق الروح ٣٠٠/٣١، الجواهر ١٠٨/٢٥.

قال الغزالى رحمه الله: " المبدى المعيد " معناه: الموجد، لكن الإيجاد إذا لم يكن مسبوقا بمثله يسمى: إبداء، وإن كان مسبوقا بمثله يسمى: إعادة. حدائق الروح ٣٠٠/٣١، تنوير الأذهان ٥٢٥/٤.

وحذف مفعولا الفعلين لقصد عموم تعلق الفعلين بكل ما يقع ابتداء، ويعاد بعد ذلك، فشمل بدء الخلق وإعادته وهو البعث، وشمل البطش الأول فى الدنيا والبطش فى الآخرة، وشمل إيجاد الأجيال وأخلاقها بعد هلاك أوائلها... وفى هذه الاعتبارات من التهديد للمشركين محامل كثيرة[١].

تعقيب:

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله: والبدء والإعادة وإن اتجه معناهما الكلى إلى النشأة الأولى والنشأة الآخرة... إلا أنهما حدثان دائبان فى كل لحظة من ليل أو نهار، ففى كل لحظة بدء وإنشاء، وفى كل لحظة إعادة لما بلى ومات، والكون كله فى تجدد مستمر، وفى بلى مستمر، وفى ظل الحركة الدائبة الشاملة من البدء والإعادة يبدو حادث الأخدود ونتائجه الظاهرة مسألة عابرة فى واقع الأمر وحقيقة التقدير، فهو بدء لإعادة، أو إعادة لبدء، فى هذه الحركة الدائبة الدائرة[٢].

من صفات الرحمة والكبرياء:

يقول الله تبارك تعالى ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [١٤-١٦]

مناسبة الآيات لما سبقها:

لما ذكر بطشه، وكان القادر على العنف قد لا يقدر على اللطف، وإن كان قدر فربما لم يقدر على الإبلاغ فى ذلك، وكان لا يقدر على محو الذنوب أعيانها وآثارها عن كل أحد، بحيث لا يحصل لصاحبها عقاب ولا عتاب من أحد أصلاً، إلا من كان قداراً على كل شىء.

قال مبيناً ذلك دليلاً على أنه الفاعل المختار، ومؤكداً لخروجه عن

---

(١) التحرير والتنوير ٣٠/٢٤٨.

(٢) فى ظلال القرآن ٦/٣٨٧٥.

العوائد (وهو الغفور...) [١].

- لما ذكر سبحانه شدة بطشه، ذكر كونه غفوراً ساتراً لذنوب عباده، ودوداً لطيفاً بهم ومحسناً إليهم[٢].

- جملة هذه الآيات معطوفة على جملة ﴿ إن بطش ربك لشديد ﴾ ومضمونها قسيم لمضمون (إن بطش ربك لشديد).

لأنه لما آخذ تعليل جملة ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ إلخ، ناسب أن يقابل بتعليل مضمون جملة ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات ﴾ إلخ، فعلل بقوله تعالى ﴿ وهو الغفور الودود ﴾ فهو يغفر للذين تابوا وآمنوا وعملوا الصالحات ما فرط منهم، وهو يحب التوابين ويودهم[٣].

وهنا ذكر تبارك وتعالى خمسة أوصاف من صفات الرحمة والجلال، فقال:

الأول: (وهو الغفور) أى: كثير المغفرة لمن تاب عن الكفر وآمن، وكذا لمن تاب من المعاصى، ومن لم يتب أيضاً إن شاء تجاوز عن سيئاته.

يقول الرازى:

قالت المعتزلة: هو الغفور لمن تاب.

وقال أصحابنا: إنه غفور مطلقاً لمن تاب ولمن لم يتب، لقوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء ﴾ [النساء / ٤٨].

ولأن غفران التائب واجب، وأداء الواجب لا يوجب التمدح، والآية

---

(١) نظم الدرر ٣٨١/٨.

(٢) . البحر المحيط ٤٥١/٨

(٣) التحرير والتنوير ٢٤٩/٣٠.

مذكورة فى معرض التمدح. وأصل " غفر " الغفر: إلباس ما يصونه عن الدنس، والغفران والمغفرة من الله: هو أن يصون العبد من يمسه العذاب... وقد يقال: غفر له: إذا تجافى عنه فى الظاهر، وإن لم يتجاف عنه فى الباطن [١]

وقال الماورد: له معنيان: الساتر للعيوب، والعافى عن الذنوب.

الثانى: (الودود) فعيل بمعنى فاعل، مشتق من الود، وهو المحبة

قال الرازى: و(الودود) فيه أقوال ؛

(أحدها): المحب، هذا قول أكثر المفسرين، وهو مطابق للدلائل العقلية، فإن الخير مقتضى بالذات، والشر بالعرض، ولابد أن يكون الشر أقل من الخير، فالغالب لابد وأن يكون خيرا، فيكون محبوا بالذات.

(وثانيها) قال الكلبى: الورود: هو المتودد إلى أوليائه بالمغفر والجزاء، والقول هو الأول.

(وثالثها) قال الأزهرى – عن بعض أهل اللغة –: يجوز أن يكون" ودود " فعولا بمعنى مفعول، كركوب بمعنى مركوب، وحلوب بمعنى محلوب، ومعنه: أن عبادة الصالحين يودونه ويحبونه، لما عرفوا من كماله فى ذاته وصفاته وأفعاله.

قال: وكلتا الصفتين مدح، لأنه – جل ذكره – إذا أحب عباده المطيعين فهو فضل منه، وإن أحبه العارفون فلما تقرر عندهم من كريم إحسانه.

(ورابعها) قال القفال: قيل الودود بمعنى الحليم، من قولهم " دابة ودود " وهى المطيعة القيادة التي كيف عطفتها انعطفت.

(الودود) أى: الذى يفعل بمن أراد فعل المحب الكثير المحبة،

---

(١) المفردات، مادة: غفر ص ٣٦٢.

فيجيبه إلى ما شاء، ويلقى على صاحب الذنب الذى محـــاه عنـــه ودا، أى: محبة كبيرة واسعة، ويجعل له فى قلوب الخلق رحمة.

هذا، والمحبة التي يوصف بها الله تعالى مستعملة فى لازم المحبة فى اللغة تقريبا للمعنى المتعالى عن الكيف، وهو من معنى الرحمة.

الثالث: (**ذو العرش**) قال القفال: أى: ذو الملك والسلطان، كما يقال: فلان على سرير ملكه، وإن لم يكن على السرير.. وهذا معنى متفق على صحته.

ويجوز أن يكون المراد بالعرش السرير، ويكون جل جلالـــه خلـــق سريرا فى سمائه فى غاية العظمة والجلالة، بحيث لا يعلم عظمته إلا هو، ومن يطلعه عليه.

قال الراغب: العرش فى الأصل: شئ مسقف، وجمعه عـــروش.. وسمى مجلس السلطان عرشا: اعتبارا بعلوه، وكنى به عن العز والسلطان والمملكة.. وعرش الله تعالى: ما لا يعلمه على الحقيقة إلا بالاسم، ولـــيس كما تذهب إليه أوهام العامة.. وقيل: هو إشارة إلى مملكته وســـلطانه، لا إلى مقر له يتعالى عن ذلك [1].

ووصفه تعالى بأنه (ذو العرش) زيادة فى التأكيد بـــذكر مـــا لا ينازع أصلا فى اختصاصه به، تشريفا له وتنبيها على أنه أعظم المخلوقات

لأنه لما ذكر الله تعالى من صفاته ما تعلقه بمخلوقاته بحســـب مـــا يستألهلونه من جزاء، أعقب ذلك بصفاته الذاتية، على وجـــه الاســـتطراد والتكملة – بقوله (ذو العرش المجيد) تنبيها للعباد إلى وجـــوب عبادتـــه لاستحقاقه العبادة لجلاله، كما يعبدونه لاتقاء عقابه ورجاء نواله.

والعرش: العز الأعظم، أو السرير الدال علـــى اختصـــاص الملـــك

---

(١) المفردات مادة: عرش، ص ٣٢٩، ٣٣٠.

بالملك، وإنفراده بالتدبير والسيادة والسياسة، الذي به قوام الأمور.

قال سهل التستري: أظهر الله تعالى العرش إظهارا للقدرة لا احتياجا إليه.

وفي البحر: خص العرش بإضافة نفسه: تشريفا للعرش، وتنبيها على أنه أعظم المخلوقات.

(الرابع: المجيد): المجد: السع في الكرم والجلال، أي: الشريف العظيم الكريم في ذاته وصفاته، الحسن الجميل الرفيع العالي، الكثير العطاء.

قرئ بالرفع على أنه صفة لله عز وجل، أي: الشريف ذاته، الجميل أفعاله، الجزيل عطاؤه ونواله.

في القاموس: المجيد: الرفيع العال، والكريم والشريف الفعال.

وقرئ بالجر على أنه صفة للعرش، ومجد العرش: علوه في الجهة، وعظم مقداره، وحسن تركيبه، فإنه أحسن الأجسام تركيبا وصورة، وفي الحديث: " ما الكرسي في جنب العرش إلا كحلقة ملقاة في أرض فلاة "[1].

(الخامس: فعال لما يريد): ختم به الصفات: لكونه كالنتيجة لها فهذا تذييل بصفة جامعة لعظمته الذاتية وعظمة نعمه، قال البقاعي: ولما كان الاختصاص يدل قطعا على كمال القدرة، أنتج ذكر هذه الاختصاصات قوله (فعال) أي: على سبيل التكرار والمبالغة (لما يريد) لا يؤوده شئ من الأفعال، سواء كانت منسوبة إليه من غير واسطة، أو نسبت في الظاهر إلى غيره.

قال القفال: (فعال لما يريد) على ما يراه، لا يعترض عليه معترض، ولا يغلبه غالب، فهو يدخل أولياءه الجنة لا يمنعه منه مانع،

---

(١) الحديث أخرجه ابن جرير في تفسيره وحسنه، وابن كثير ١/٢٨٨.

ويدخل أعداءه النار لا ينصرهم منه ناصر، ويمهل العصاة على ما يشاء إلى أن يجازيهم، ويعاجل بعضهم بالعقوبة إذا شاء، ويعذب من شاء منهم فى الدنيا وفى الأخرة، يفعل من هذا الأشياء ومن غيرها ما يريد.

والإرادة هنا هى المعرفة - عندنا -: بأنها صفة تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه، وهى غير الإرادة بمعنى المحبة مثل ﴿ يريد الله بكم اليسر ﴾ [البقرة: ١٨٥].

تعقيب:

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله: (وهو الغفور الودود).. والمغفرة تتصل بقوله - من قبل - (ثم لم يتوبوا).. فهى من الرحمة والفضل الفائض بلا حدود ولا قيود، وهى الباب المفتوح الذى لا يغلق فى وجه عائد تائب، ولو عظم الذنب وكبرت المعصية.. أما الود: فيتصل بموقف المؤمنين، الذين اختاروا ربهم على كل شئ، وهو الإيناس اللطيف الحلو الكريم، حين يرفع الله تعالى عبده الذين يؤثرونه ويحبونه، يتحرج القلم من وصفها، لولا أن فضل الله يجود بها.. مرتبة الصداقة.. الصداقة بين الرب والعبد.. ودرجة الود من الله تعالى لأوليائه وأحبائه المقربين..فماذا تكون الحياة التي ضحوا بها وهى ذاهبة ؟ وماذا يكون العذاب الذى احتملوه وهو موقوت ؟ ماذا يكون هذا إلى جانب قطرة من هذا الود الحلو؟ وإلى جانب لمحة من هذا الإيناس الحبيب ؟.

إن عبيدا من رقيق هذه الأرض، عبيدا لواحد من البشر.. ليلقون بأنفسهم إلى التهلكة لكلمة تشجيع تصر من فمه، أو لمحة رضاء تبدو فى وجهه.. وهو عبد وهم عبيد.. فكيف بعباد الله الذين يؤنسهم الله بوده الكريم الجليل، الله (ذو العرش المجيد) العالى المهيمن الماجد الكريم ؟ ألا هانت الحياة، وهان الألم، وهان العذاب، وهان كل غال عزيز، فى سبيل لمحة رضا يجود بها المولى الودود ذو العرش المجيد.

(فعال لما يريد) هذه صفته الكثيرة التحقق، الدائبة العمل.. (فعال لما يريد).. فهو مطلق الإرادة، يختار ما يشاء، ويفعل ما يريده ويختاره، دائما ابدا، فتلك صفته سبحانه.

يريد أن ينتصر المؤمنون به فى هذه الأرض لحكمة يريدها، ويريد مرة أن ينتصر الإيمان على الفتنة وتذهب الأجسام الفانية لحكمة يريدها.. يريد مرة أن يأخذ الجبارين فى الأرض، ويريد مرة أن يمهلهم لليوم الموعود لحكمة تتحقق هنا وتتحقق هناك، فى قدره المرسوم.

فهذا طرف من فعله لما يريد، يناسب الحادث ويناسب ما سيأتى من حديث فرعون وثمود، وتبقى حقيقة الإرادة الطليقة والقدرة المطلقة وراء الأحداث ووراء الحياة والكون تفعل فعلها فى الوجود [1]

إعراب الآيات:

(إن بطش ربك) ناصب واسمه ومضاف إليه (الشديد) خبره، واللام: حرف تأكيد، والجملة مستأنفة مسوقة لتسلية النبى ﷺ لى ما يكابده من كفار مكة (إنه) ناصب واسمه (هو) مبتدأ، لا ضمير فصل، لفقد الشرط (يبدئ) خبر لـ (هو) والجملة الابتدائية فى محل الرفع خبر (إن) وجملة (إن..) مستأنفة، وجملة (ويعيد) معطوفة على جملة (يبدئ)، (وهو) الواو عاطفة (هو) مبتدأ(الغفور) خبر أول له (الودود) خبر ثان (ذو العرش) خبر ثالث (المجيد) بالرفع خبر رابع، وبالجر صفة لـ (العرش) (فعال) خبر خامس والجملة الابتدائية معطوفة على جملة (إن).

واستدل النحاة بهذه الآيات على جواز تعدد الخبر لمبتدأ واحد.

(لما) جار ومجرور، متعلق بـ (فعال) وجملة (يريرد) صلة

---

(١) فى ظلال القرآن ٦/٣٨٧٥.

الموصول، والعائد محذوف تقديره: لما يريده[١].

ذكر خبر الجموع الكافرة:

يقول الله عز وجل ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴾[١٧-١٨]

مناسبة الكلام لما تقدم:

- استئناف فيه تقرير لكونه تعالى فعالا لما يريد، وكذا لشدة بطشه سبحانه بالظلمة العصاة، والكفرة الطغاة، وتسلية له ﷺ بالإشعار بأنه سيصيب كفرة قومه ما أصابا الجنود[٢].

- ولما تمت الدلالة على أن بطشه شديد، قرره بما وجد من ذلك، وذكر به تخويفا لقومه وتسلية له، لأن النظر فى المحسوسات أمكن فى النفوس[٣].

- أن الله تعالى لما ذكر قصص أصحاب الأخدود وبين حالهم، ووصف ما كان من إيذائهم للمؤمنين.. أردف ذلك ببيان أن حال الكفار فى كل عصر، وشأنهم مع كل نبى وشيعته جار على هذا النهج... والغرض من هذا كله: تسلية النبى ﷺ وصحبه، وشد عزائمهم على التذرع بالصبر، وأن كفار قومه سيصيبهم مثل ما أصاب الجنود، فرعون وثمود[٤].

- اعلم أنه تعالى لما بين حال أصحاب الأخدود فى تأذى المؤمنين بالكفار، بين أن الذين كانوا قبلهم كانوا أيضا كذلك[٥].

---

(١) حدائق الروح والريحان ٣٠٧/٣١.

(٢) روح المعانى ١١٩/٣٠، تفسير أبى السعود ١٣٩/٩، حدائق الروح والريحان ٣٠٢/٣١، الفتوحات الإلهية ٥١٦/٤، عن أبى السعود، فتح القدير ٤١٤/٥..

(٣) نظم الدرر ٣٨١/٨، الميزان ٢٥٤/٢٠.

(٤) حدائق الروح ٢٨٥/٣١.

(٥) تفسير الرازى ١٢٤/٣٢.

- الكلام متصل بقوله تعالى ﴿ إن بطش ربك لشديد ﴾ فالخطاب للنبى ﷺ للاستدلال على كون بطشه تعالى شديدا ببطشين بطشهما بفرعون وثمود، بعد أن علل ذلك بقوله سبحانه ﴿ إنه هو يبدئ ويعيد ﴾ فذلك تعليل وهذا تمثيل ودليل[١].

المعنى العام:

يقول الله تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: هل جاءك يا محمد حديث الجنود، الذين تجندوا على الله ورسله بأذاهم ومكروههم، يقول: قد أتاك لك وعلمته، فاصبر لأذى قومك إياك، لما نالوك به من مكروه، كما صبر الذين تجند هؤلاء عليهم من رسلى، ولا يثنيك عن تبليغهم رسالتى، كما لم يثن الذين أرسلوا إلى هؤلاء، فإن عاقبة من لم يصدقك ويؤمن بك منهم إلى عطب وهلاك، كالذى كان من هؤلاء الجنود.

ثم بين جل ثناؤه من الجنود من هم ؟ فقال (فرعون وثمود) يقول: فرعون، فاجتزئ بذكره، إذ كان رئيس جنده، من ذكر جنده وتباعه.

وإنما معنى الكلام ﴿ هل أتاك حديث الجنود ﴾ فرعون وقومه (ثمود) وخفض (فرعون) ردا على (الجنود) على الترجمة عنهم، وإنما فتح لأنه لا يجرى وثمود[٢].

التحليل والاستنتاج:

(هل) يصح أن تكون بمعنى " قد " إن كان سبق له ﷺ إتيان، و لطلب الإخبار إن لم يكن أتاه[٣].

والاستفهام مستعمل فى إرادة لتهويل حديث الجنود، بأنه يسأل عن علمه.

---

(١) التحرير والتنوير ٣٠/٢٥٠.

(٢) تفسير الطبرى ٣٠/١٣٩.

(٣) حاشية الصادى ٤/٢٥٩.

وفيه تعريض للمشركين بأنهم قد يحل بهم ما حل بأولئك.

(أتاك) الإتيان: مستعار لبلوغ الخبر.

والخطاب لغير معين مما يراد موعظته من المشركين، كناية عن التذكير بخبرهم، لأن حال المتلبسين بمثل صنيعهم، الراكبين، رؤسهم في العناد، كحال من لا يعلم خبرهم، فيسأل: هل بلغه خبرهم أولا ؟.

أو: الخطاب لغير معين تعجبا من حال المشركين في إعراضهم عن الاتعاظ بذلك، فيكون الاستفهام مستعملا في التعجب[1].

قوله تعالى: (هل أتاك...) الاستفهام هنا إما أن يكون على حقيقته وذلك استفهام تقريري – ويكون النبي ﷺ قد تلقى من آيات ربه قبل ذلك، حديثا عن فرعون وثمود، وما أخذهم الله به من بلاء ونكال.. وعلى يكون جواب الاستفهام محذوفا، تقديره: نعم قد أتاني

حديث الجنود، فرعون وثمود.

ويجوز أن يكون هذا الاستفهام مرادا به النفي، أي: إنه لم يأتك حديث الجنود.. وإذن فسنقصه عليك فيما سينزل عليك من آياتنا بعد

وفي هذا ما يبعث للشوق والتطلع إلى هذا الحديث العجيب، وانتظاره في لهفة وترقب[2].

وقوله (حديث الجنود) المراد بحديث هؤلاء: خبرهم وما جرى لهم مع أنبيائهم، وما حل بهم من العقوبات.. بسبب تكذيبهم.. وما صدر منهم من التمادي في الكفر والضلال، وما حل بهم من العذاب والنكال.

فذكر – يا محمد – قومك بشؤون الله فيهم، وأنذرهم أن يصيبهم مثل ما أصاب أولئك حين كذبوا أنبياءهم

---

(١) التحرير والتنوير ٣٠/٢٥٠.

(٢) التفسير القرآني للقرآن ٣٠/١٥١٨.

كأنه قيل: ليس حال هؤلاء بأعجب من حال قومك، فإنهم مع علمهم بما حل بهم لم ينزجروا.

و(الجنود) جمع جند، وهو العسكر المتجمع للقتال، وأطلق على الأمم التي تجمعت لمقاومة الرسل، كقوله ﴿ جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب ﴾ [ص: ١١].

ويقال للعسكر الجند اعتبارا بالغلظة من الجند، أى: الأرض الغليظة التي فيها حجارة، ثم يقال لكل مجتمع جند، نحو: الأرواح جنود مجندة.. وجمع الجند: أجناد وجنود [١].

ووصف القوم بالجنود: إشارة دالة على أنهم ذوو بأس وقوة، كبأس أبطال الحرب وقومهم، وأنهم فى حرب مع أولياء الله، يلبسون لباس الحرب دائما[٢].

(فرعون وثمود) بدل من الجنود بدل مطابق، لأنه أريد العبرة بهؤلاء.

و(فرعون) اسم لملك مصر من القبط، وهو لقب وليس اسما..

والكلام على حذف مضاف، أى: جنود فرعون، أو:فرعون وجنوده.. لأن (فرعون) ليس بجند، ولكنه مضاف إليه الجند الذين كذبوا موسى عليه السلام وآذوه.. واكتفى بذكره عنهم، لأنهم أتباعه.

فحذف المضاف لنكتة المزاوجة بين اسمين علمين مفردين فى الإبدال من (الجنود).

وضرب المثل بفرعون لأبى جهل، وقد كان بلقب عند المسلمين بفرعون هذه الأمة.

---

(١) المفردات مادة (جند) ص ١٠٠، التحرير والتنوير ٣٠/٢٥٠، ٢٥١.

(٢) التفسير القرآنى للقرآن ٣٠/١٥١٨، ١٥١٩.

وضرب المثل للمشركين بقوم فرعون، لأنهم أكبر أمة تألبت على رسول من رسل الله تعالى، بعثه الله لإعتاق بنى إسرائيل من ذل العبودية لفرعون[١].

واختصر ما جرى لهم، إذ هم مذكورون فى غير ما سورة من القرآن[٢].

و(ثمود) اسم عربى، ولكن يلق على القبيلة التي تنسب إلى نبى الله صالح عليه السلام.

وتخصيص (ثمود) بالذكر من بقية الأمم التي كذبت الرسل من العرب – مثل عاد وتبع – ومن غيرهم، مثل قوم نوح وقوم شعيب: لما اقتضت الفاصلة السابعة الجارية على حرف الدال، من قوله سبحانه ﴿ إن بطش ربك لشديد ﴾.

فإن ذلك لما استقامت به الفاصلة، ولم يكن فى ذكر تكلف، كان من محاسن نظم الكلام إيثاره[٣].

فآخر (ثمود) مع تقدمه على (فرعون) رمانا لرعاية الفواصل

وإنما خص سبحانه (فرعون وثمود): لأن ثمود كانوا فى بلاد العرب، وقصتهم عندهم مشهورة، وإن كانوا المتقدمين.

وأمر فرعون كان مشهورا عند أهل الكتاب وغيرهم، وكان من المتأخرين فى الهلاك.

فدل بهما على أمثالهما من قصص الأمم المكذبين وهلاكهم[٤].

---

(١) التحرير والتنوير ٣٠/٣٥٠، ٣٥١.

(٢) البحر المحيط ٨/٤٥٢.

(٣) التحرير والتنوير ٣٠/٢٥١

(٤) ينظر تفسير أبى السعود ٩/١٣٩، روح المعانى ٣٠/١١٨، حاشية الصاوى ٤/٢٥٩، مراح لبيد ٢/٤٣٨، فتح القدير ٥/٤١٤، الفتوحات ٤/٥١٦، حدائق الروح ٣١/٣٠٢، تنوير الأذهان ٤/٥٢٦، البحر المحيط ٨/٤٥٢، القرطبى ١٩/١٩٦.

ويقول البقاعى: وقد جمع سبحانه بهما بين العرب والعجم، والإهلاك بالماء الذى هو حياة كل شئ، والصيحة التي هى أمارة الساعة[١].

تعقيب:

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله: " هل أتاك حديث الجنود فرعون وثمود " ؟ وهى إشارة إلى قصتين طويلتين، ارتكانا إلى المعلوم من أمرهما للمخاطبين، بعد ما ورد ذكرهما كثيرا فى القرآن الكريم.

ويسميهم (الجنود) إشارة إلى قوتهم واستعدادهم.. هل أتاك حديثهم، وكيف فعل ربك بهم ما يريد ؟ وهما حديثان مختلفان فى طبيعتهما وفى نتائجهما.. فأما حديث فرعون: فقد أهلكه الله وجنده ونجى بنى إسرائيل، ومكن لهم فى الأرض فترة، ليحقق بهم قدرا من قدره، وإرادة من إرادته.

وأما حديث ثمود: فقد أهلكهم الله عن بكرة أبيهم، وأنجى صالحا والقلة معه، حيث لم يكن لهم بعد ذلك ملك ولا تمكين، إنما هى مجرد النجاة من القوم الفاسقين.

وهما نموذجان لفعل الإرادة، وتوجه المشيئة، وصورتان من صور الدعوة إلى الله واحتمالاتها المتوقعة، إلى جانب الاحتمال الثالث الذى وقع فى حادث الأخدود، وكلها يعرضها القرآن للقلة المؤمنة فى مكة، ولكل جيل من أجيال المؤمنين[٢].

التكذيب سمة الكافرين فى كل العصور:

يقول الله عز وجل ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ﴾ [١٩-٢٠].

مناسبة الآية لما سبقها:

---

(١) نظم الدرر ٨/٣٨٢.

(٢) فى ظلال القرآن ٦/٣٨٧٦.

يقول البقاعى: ولما كان التقدير – لما سبق من التقرير –: نعم قد أتانى ذلك، وعلمت من خبرهما وغيره أنك قادر على ما تريد، ولكن الكفار لا يصدقوننى، عطف عليه قوله " بل الذين كفروا " أى: جاهروا بالكفر من هؤلاء القوم وغيرهم، وإن كانوا فى أدنى رتبة(فى تكذيب) (١).

الآيات إضراب انتقالى عن مماثلتهم لهم، إلى إعراضهم عن الاعتبار بحال الذين كذبوا الرسل، وبيان لكونهم أشد منهم فى الكفر والطغيان، وأنهم مستمرون على ا لتكذيب، منغمسون فيه انغماس المظروف في الظرف، فجعل تمكن التكذيب من نفوسهم كتمكن الظرف بالمظروف(٢).

وهذا إضراب عن انتفاع المشركين بهذه العبرة والمثلات، التي يقصها الله سبحانه وتعالى من أخبار القرون الأولى، وما أخذ به أهل الضلال والسفه والعناد... و (الذين كفروا فى تكذيب) أى: هكذا شأنهم دائما، هم فى سلسلة لا تنقطع من التكذيب لكل ما يسمعون من آيات الله، دون أن يصغوا إلى ما يسمعونه، أو يعقلوه.. فالتكذيب بآيات الله وبرسل الله، هو الظرف الذى يحتويهم فى كل زمان ومكان(٣).

ومعنى الإضراب: أن حالهم أعجب من هؤلاء، فإنهم سمعوا قصتهم، ورأوا آثار هلاكهم، وكذبوا أشد من تكذيبهم.. (٤).

---

(١) نظم الدرر ٣٨٢/٨.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ٢٥٢/٣٠، تفسير أبى السعود ١٣٩/٩، روح المعانى ١١٩/٣٠، الفتوحات الإلهية ٥١٦/٤، حاشية الصاوى ٢٥٩/٤، تنوير الأذهان ٥٢٦/٤، التفسير الشامل ٣٥٣٨، يقول الطاهر بن عاشور وفيه إشارة إلى أن إحاطة التكذيب بهم إحاطة الظرف بالمظروف لا يترك لتذكر ما حل بأمثالهم من الأمم مسلكا لعقولهم، ولهذا لم يقل (بل الذين كفروا يكذبون) كما قال فى سورة الانشقاق.

(٣) التفسير القرآنى للقرآن ١٥١٩.

(٤) ينظر: الجواهر ١٠٨/٢٥، البيضاوى ٥٨٦/٢.

و(الذين كفروا فى تكذيب) أى: لما رأوا من الآيات لا مستند لهم فيه، وهو شديد محيط بهم، لاتباعهم أهواءهم، وتقليدهم آباءهم، فهم لا يقدرون على الخروج من ذلك التكذيب الذى صار ظرفا لهم بعد سماعهم لإخبار هؤلاء المهلكين ورؤية لبعض آثارهم، وبعد ما أقمت لهم الأدلة على البعث فى هذا القرآن المعجز، ولم يعبروا بشئ من ذلك، لما عندهم من داء الحسد، فحالهم أعجب من حالهم، فحذروهم مثل مآلهم[1].

يقول الرازى رحمه الله: ولما طيب قلب الرسول ﷺ بحكاية أحوال الأولين فى هذا الباب، سلاه بعد ذلك من وجه آخر، وهو قوله تعالى ﴿ والله من وراتهم محيط ﴾، وفيه وجوه:

(أحدها): أن المراد وصف اقتداره عليهم، وأنهم فى قبضته وحوزته، كالمحاط إذا أحيط به من ورائه فسد عليه مسلكه، فلا يجد مهربا، يقول الله: فهم كا فى قبضتى، وأنا قادر على إهلاكهم ومعالجتهم بالعذاب على تكذيبهم إياك، فلا تجزع من تكذيبهم إياك، فليسوا يفوتنى إذا أردت الانتقام منهم.

(وثانيها): أن يكون المراد من هذه الإحاطة قرب هلاكهم، كقوله تعالى ﴿ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ﴾ [الفتح: ٢١] وقوله: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ﴾ [الإسراء: ٦٠] وقوله: ﴿ وظنوا أنهم أحيط بهم ﴾ [يونس: ٢٢].

فهذا كله عبارة عن مشارفة الهلاك، يقول: فهؤلاء فى تكذيبك قد شارفوا الهلاك.

(وثالثها) أن يكون المراد: والله محيط بأعمالهم، أى: عالم بها، فهو مرصد بعقابهم عليها[2].

---

(١) نظم الدرر ٣٨٢/٨، ٣٨٣.

(٢) تفسير الرازى ١٢٤/٣٢.

وقوله تعالى ﴿ والله من ورائهم محيط ﴾ تمثيل لعدم نجاتهم من بأس الله، كما إذا أحاط شئ بعدده فسد عليه مسلكه، بحيث لا يجد هربا منه.

وهذا تهديد وتخويف لهؤلاء المشركين المكذبين.

وخص الوراء: لأن الإنسان يحمي ما راءه، ولأنه جهة الفرار من المصائب.

وقد قوبل جزاء إحاطة التكذيب بهم بإحاطة العذاب بهم، جزاء وفاقا، فقوله جل شأنه ﴿ والله من ورائهم محيط ﴾ خبر مستعمل فى الوعيد والتهديد[1].

القرآن محفوظ:

يقول الله تبارك وتعالى ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ [٢١-٢٢].

مناسبة الآيات لما قبلها:

يقول البقاعى: ولما كان ن تكذيبهم، وهو أعظم تكذيبهم، طعنهم فى أعظم آيات القرآن بأن يقولوا: هو كذب مختلق، إنما هو أساطير الأولين، أى: أن أكذوباتهم لا حقائق لما يخبر به، مع أنه قد قام الدليل الأعظم لنفسه بنفسه، بما له من الإعجاز على أنه ق، قال معبرا بالضمير إيذانا بأنه لعظمه فى كل قلب لا غيبة له أصلا، ليس لأحد فيه حديث إلا فيه، بانيا على ما تقديره: ليس الأمر كما يزعم الكفار فى القرآن (بل هو) أى: هذا القرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزي من حكيم حميد (قرآن) أى: جامع لكل منقبة جليلة، بلاغ الذروة العليا فى كل شرف[2].

ويقول الرازى: ثم إنه تعالى سلى رسوله ﷺ بعد ذلك بوجه ثالث

---

(١) يقول الطاهر بن عاشور: وليس المراد هنا إحاطة علمه تعالى بتكذيبهم، إذ ليس له كبير جدوى، التحرير والتنوير ٣٠٢٥٢.

(٢) نظم الدرر ٣٨٣/٨.

وهو قوله ﴿ بل هو قرآن مجيد ﴾[١].

ويقول أبو حيان: ولما ذكر أنهم فى تكذيب، وأن التكذيب عمهم حتى صار كالوعاء لهم، وكان ﷺ قد كذبوه وكذبوا ما جاء به وهو القرآن، أخبر تعالى عن الذى جاء به وكذلك، فقال ﴿ بل هو قرآن مجيد ﴾ أى: بل الذى كذبوا به (قرآن مجيد)[٢].

ويقول أبو السعود: وقوله تعالى ﴿ بل هو قرآن مجيد ﴾ رد لكفرهم، وإبطال لتكذيبهم، وتحقيق للحق، أى ليس الأمر كما قالوا، بل هو كتاب شريف عالى الطبقة فيما بين الكتب الإلهية فى النظم والمعنى[٣].

والآيات إضراب إبطالى لتكذيبهم، لأن القرآن جاءهم بدلائل بينة، فاستمرارهم على التكذيب ناشئ عن سوء اعتقادهم صدق القرآن، إذ وصفوه بصفات النقص، من قولهم: أساطير الأولين، إفك مفترى، قول كاهن، قول شاعر.. فكان التنويه به جامعا لإبطال جميع ترهاتهم على طريقة الإيجاز[٤].

التحليل والاستنتاج:

معنى كلمة قرآن:

كلمة قرآن: مصدر " قرأ " على وزن فعلان الدال على كثرة المعنى، مثل الشكران والقربان، وهو من القراءة، وهى تلاوة كلام صدر فى زمن سابق لوقت تلاوته تاليه، بمثل ما تكلم به متكلمه، سواء كان مكتوبا فى صحيفة، أم كان ملقنا لتاليه، بحيث لا يخالف أصله.. ولذلك لا يقال لنقل كلام إنه قراءة، إلا إذا كان مكتوبا أو محفوظا.

وكلما جاء " قرآن " منكرا فهو مصدر، وأما اسم كتاب الإسلام فهو

---

(١) تفسير الرازى ١٢٤/٣٢.

(٢) البحر المحيط ٤٥٢/٨.

(٣) تفسير أبى السعود ١٣٩/٩، روح المعانى ١١٩/٣٠، مراح لبيد ٤٣٨/٢.

(٤) التحرير والتنوير ٢٥٢/٣٠.

بالتعريف باللام، لأنه علم بالغلبة فالإخبار عن الوحى المنزل على محمد ﷺ باسم" قرآن " إشارة عرفية إلى أنه موحى به تعريض بإبطال ما اختلقه المكذبون: أنه أساطير الأولين، أو قول كاهن، أو نحو ذلك[١].

من أوصاف القرآن الكريم:

وصف القرآن بأنه (مجيد) ومجادته: شرفه على سائر الكتب الإلهية، بإعجازه فى نظمه، وصحة معانيه، وإخباره بالمغيبات.. وغير ذلك فى محاسنه[٢].

وقال البقاعى: (مجيد) أى: شريف كريم، ليس فيه شئ من شوائب الذم، عزيز عظيم، شريف عال جواد، حسن الخلال، وحي فى نظمه ومعانيه المغيبة والمشاهدة، حاو لمجتمع الحمد، ليس بقول مخلوق، ولا هو مخلوق، بل هو صفة الخالق، بل هو جواد بكل ما يراد منه من المحاسن لمن صدقت نيته وطهرت طويته، وعلت همته وكرمت سجيته، فهو يأبى له مجده أن يلم بساحته طعن بوجه من الوجوه، وكمجده: تجيب أحكامه من بين عاجل ما شهد، وآجل ما علم بعالم ما شهد، فكان معلوما بالتجربة المتيقنة بما تواتر من القصص الماضى، وما شهد له من الأثر الحاضر، وما يتجدد مع الأوقات من أمثاله وأشباهه وأشكاله،.. فكذب من قال: إنه شعر أو كهانة أو سحر، أو غير ذلك الأباطيل [٣].

ووصف القرآن بصفة أنه مودع فى لوح محفوظ

واللوح: قطعة من خشب – أو نحوه – مستوية تتخذ ليكتب فيها.

يقول الراغب: قوله تعالى ﴿ فى لوح محفوظ ﴾: فكيفيته تخفى علينا، إلا بقدر ما روى لنا فى الأخبار، وهو المعبر عنه بالكتاب فى قوله تعالى ﴿

---

(١) التحرير والتنوير ٢٥٢/٣٠.

(٢) البحر المحيط /٤٥٢.

(٣) نظم الدرر ٣٨٣/٨.

مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحديد: ٢٢] (١).

قال الرازى: إنه تعالى قال ههنا (فى لوح محفوظ) وقال فى آية الواقعة ﴿ إنه لقرآن كريم فى كتاب مكنون ﴾ فيحتمل أن يون الكتاب المكنون واللوح المحفوظ واحد.

ثم كونه محفوظا: قرأ نافع (محفوظ) بالرفع، على أنه أنه نعت لـ (قرآن)، والباقون بالجر، على أنه نعت لـ (لوح)، ويحتمل أن يكون المراد كونه محفوظا عن أن يمسه إلا المطهرون كما قال تعالى ﴿ لا يمسه إلا المطهرون ﴾، ويحتمل أن يكون المراد كونه محفوظا من اطلاع الخلق عليه سوى الملائكة المقربين، ويحتمل أن يكون المراد أن لا يجرى عليه تغيير وتبديل(٢).

يقول الطاهر بن عاشور: وسوق وصف (فى لوح) مساقة التنويه بالقرآن وباللوح يعين أن اللوح كائن قدسى من كائنات العالم العلوى المغيبات، وليس فى الآية أكثر منن أن اللوح أودع فيه القرآن، فجعل الله تعالى القرآن مكتوبا فى لوح علوى، كما جعل التوراة مكوبة فى ألواح وأعطاها موسى عليه السلام.. وأما لوح القرآن فجعله محفوظا فى العالم العلوى(٣).

ونحن نؤمن به، ولا يلزمنا البحث عن ماهيته وكيفية كتابته ونحو ذلك.

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله: (بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ) والمجيد: الرفيع الكريم العريق.. وهل هناك أمجد وأرفع وأرق من قول الله العظيم ؟

وهو (فى لوح محفوظ) لا ندرك نحن طبيعته، لأنه من أمر الغيب الذى تفرد الله تعالى بعلمه، إنما ننتفع نحن بالظن الذى يلقيه التعبير، والإيحاء الذى

---

(١) المفردات، مادة: لوح ص ٤٥٦.

(٢) تفسير الرازى ١٢٥/٣٢، مراح لبيد ٤٣٨/٢.

(٣) التحرير والتنوير ٢٥٣/٣٠.

يتركه فى القلوب، وهو أن هذا القرآن مصون ثابت، قوله هو المرجع الأخير، فى كل ما يتناوله من أمور، يذهب كل قول، وقوله هو المرعى المحفوظ.

ولقد قال القرآن قوله فى حادث الأخدود، وفى الحقيقة التي وراءه.. وهو القول الأخير[١].

إعراب الآيات:

(هل) حرف استفهام للاستفهام التقريرى (أتاك) فعل ماض ومفعول به (حديث الجنود) فاعل ومضاف إليه، والجملة جملة إنشائية لا محل لها من الإعراب (فرعون) بدل (الجنود) بدل كل من كل، مجرور بالفتحة لأنه غير منصرف للعلمية والعجمية، ولكنه على تقدير مضاف، أى: قوم فرعون (وثمود) معطوف عليه، مجرور بالفتحة للعلمية والتأنيث المعنوى (بل) حرف عطف وإضراب عن محذوف، إضرابا انتقاليا، تقديره: ليس هؤلاء مثل من تقدم قبلهم من الأمم، بل هم أشد تكذيبا (الذين) مبتدأ، وجملة (كفروا) صلة الموصول (فى تكذيب) خبر عن الموصول، والجملة الاسمية معطوفة على تلك المحذوفة (والله) الواو عاطفة (الله) مبتدأ (من ورائهم) متعلق بـ (محيط) الخبر، والجملة معطوفة على ما قبلها (بل) حرف إضراب للإضراب الانتقالى عن بيان شدة كفرهم، إلى وصف القرآن بما ذكر، والمعنى: ليس ما كذب هؤلاء مثل ما كذب من قبلهم، بل ما كذبوه (قرآن) موصوف بهذه الصفات العالية (هو) مبتدأ (قرآن) خبر (مجيد) صفة (قرآن) والجملة معطوفى على تلك الجملة المحذوفة (فى لوح) صفة ثانية لـ (قرآن)، (محفوظ) صفة لـ (لوح) [٢].

ذكر بعض ما اشتملت عليه السورة الكريمة من أحكام:

اشتملت السورة الكريمة – مع قصرها، وكونها مكية – على بعض الأحكام، نذكر ما أورده المفسرون فى ذلك.

---

(١) فى ظلال القرآن ٣٨٧٨/٦.

(٢) حدائق الروح ٣٠٨/٣١.

يقول القرطبي: قال علماؤنا:

أعلم الله عز وجل المؤمنين من هذه الأمة فى هذه الآية - يقصد قصة الأخدود - ما كان يلقاه من وجد قبلهم من الشدائد، ونسهم بذلك، وذكر لهم النبى ﷺ قصة هذا الغلام ليصبروا على ما يلاقونه من الأذى والآلام، والمشقات التي كانوا عليها، ليتأسوا بمثل هذا الغلام، فى صبره وتصليه فى الحق وتمسكه به، وبذله نفسه فى حق إظهار دعوته، ودخول الناس فى الدين مع صغر سنه وعظم صبره، وكذلك الراهب صبر على التمسك بالحق حتى نشر بالمنشار.

وكذلك كثير من الناس لما آمنوا بالله تعالى، ورسخ الإيمان فى قلوبهم، صبروا على الطرح فى النار ولم يرجعوا فى دينهم..

قال علماؤنا: ولقد امتحن كثير من اصحاب النبي ص بالقتل والصلب والتعذيب الشديد، فصبروا ولم يلتفتوا إلى شئ من ذلك، ويكفيك قصة عاصم وخبيب وأصحابهما، وما لقوا من الحروب والمحن والقتل والأسر والحرق، وغير ذلك.. (١).

يقول الشيخ إسماعيل حقى: وفى القصة إثبات كرامات الأولياء، وجواز الكذب عن خوف الهلاك، سواء الكان الهتلك هو الكاذب أو غيره إذا علم العبد أن الله تعالى شهيد يعلم أفعاله، ويرى أحواله، سهل عليه ما يقاسيه لأجله.

حكى أن رجلا كان يضرب بالسياط وهو يصبر، ولا يصيح، فقال له بعض الحاضرين: أما يؤلمك الضرب ؟ فقال: نعم، قال: فلم لا تصيح ؟ قال: فى الحاضرين لى محبوب يرقبنى، فأخاف أني ذهب ماء وجهى عنده إن صحت.

فمن ادعى محبة الحق ولم يصبر على قرص نملة أو بعوضة، أو أدنى أذية، كيف يكون صادقا فى دعواه ؟ ولهذا كان إظهار الكفر كار خصة فى ذلك.

حكى أن مسيلمة الكذاب أخذ رجلين من أصحاب النبى ﷺ، فقال

---

(١) تفسير القرطبى ١٩/١٩٣.

لأحدهما: تشهد أنى رسول الله ؟ فقال: نعم، فتركه، وقال للآخر مثله، فقال: لا، بل أنت كذاب، فقتله.

فقال النبى ﷺ: أما الذى تركه فأخذ بالرخصة، فلا تبعة عليه. وأما الذى صبر فأخذ بالفضل، فهنيئا له الجنة[١].

يقول الفخر الرازى: قصة أصحاب الأخدود تدل على أن المكره على الكفر بالإهلاك العظيم، الأولى أن يصبر على ما خوف منه، وأن إظهار كلمة الكفر كالرخصة فى ذلك.

ثم روى الرازى -عن الحسن- موقف الرجلين من مسيلمة الكذاب[٢].

يقول العلامة الصاوى رحمه الله: قوله تعالى ﴿ ثم لم يتوبوا ﴾ أى: لم يرجعوا عما هم عليه من الكفر.

وفيه دليل على أنهم إن تابوا وآمنوا قبلهم وأخرجهم من هذا الوعيد والتعبير بـ (ثم) إشارة إلى أن التوبة مقبولة، ولو طال الزمان، ما لم تحصل الغرغرة[٣].

ويقول الحافظ ابن كثير رحمه الله: قال الحسن البصرى - عند قوله تعالى ﴿ ثم لم يتوبوا ﴾: انظروا إلى هذا الكرم والجود، قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة[٤].

ويقول محمد أمين العلوى: وفى إيراد (ثم) إشعار بكمال حلمه وكرمه، حيث لا يعجل فى القهر، ويقبل التوبة، وإن طالت مدة الحوبة، قال الإمام: وذلك يدل على أن توبة قاتل المؤمن عمدا مقبولة [٥].

---

(١) تنوير الأذهان ٥٢٣/٤، ٥٢٤.

(٢) تفسير الرازى ١٢١/٣٢، ١٢٢، حدائق الروح ٢٩٦/٣١.

(٣) حاشية الصاوى ٢٥٨/٤، ٢٥٩، نظم الدرر ٣٧٩/٨، حدائق الروح ٢٩٨/٣١.

(٤) تفسير ابن كثير ٤٩٦/٤، فتح الرحمن ٣٩٠٤/٧.

(٥) حدائق الروح ٢٩٧/٣١، ٣١٢.

ويقول الفخر الرازى: قوله تعالى ﴿ ثم لم يتوبوا ﴾ يدل على أنهم لو تابوا لخرجوا عن هذا الوعيد، وذلك يدل على القطع بأن الله تعالى يقبل التوبة، ويدل على أن توبة القاتل عمدا مقبولة[1].

ويقول الدكتور زغلول النجار: فى الآيات تقرير لعدة أحكام إلهية، مستمدة من هذه الواقعة المفزعة، والتي هي فى الوقت نفسه أحكام مطاقة، يؤكد لكل ذى بصيرة.

- أن الدنيا الغابرة هى رحلة قصيرة إلى الآخرة الأبدية الباقية، ولا يمكن لعاقل أن يضحى بآخرته من أجل دنياه.

- وفى ذلك تطمين للذين حرقوا فى أخدود مشركى أصحاب الأخدود، وتهديد للذين قاموا بهذه الجريمة البشعة.

- وفيه تطمين لكل مسلم ومسلمة يتعرض - أو تتعرض - لفتن المشركين فى كل مكان وفى كل حين، بأن مصيرهم الخلود فى جنات النعيم.

- وفيه - فى الوقت نفسه - تحذير للذين فتنوا المؤمنين من المؤمنات ثم لم يتوبوا، من مغبة أعمالهم التي قد تخلدهم فى نار جهنم أبد الآبدين.

- وفى الآيات تطمين للذين ظلموا بأن حقوقهم لن تضيع عند رب العالمين.

- التسليم بأن الخلق سوف يعرضون على ربهم يوم القيامة.. يوم يقوم الأشهاد.

- التصديق بحتمية الصراع بين الحق والباطل، وبمحاولة أهل الباطل دوما فتنة أهل الحق.

- الإيمان بأن النجاة من النار والفوز بالجنة، هو أكبر صور الفوز.

- التسليم بأن القرآن هو كلام رب العالمين، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو متناه فى الشرف والرفعة، ومحفوظ لحفظ الله تعالى

---

(١) تفسير الرازى ١٢١/٣٢.

له – فى الأرض وفى الملأ الأعلى –...[١].

من أنواع البلاغة فى السورة الكريمة:

تضمن هذه السورة الكريمة ضروبا من البلاغة، وأنواعا من الفصاحة والبيان والبديع.

-الاستعارة التصريحية الأصلية: فى قوله ﴿ والسماء ذات البروج ﴾ لأن البروج حقيقة فى القصور التي تنزل فيها الأكابر والأشراف، فاستعيرت لمنازل الكواكب السيارة، ومقر الثوابت، بجامع العلو فى كل منهما.

- الجناس المماثل: فى قوله تعالى ﴿ وشاهد ومشهود ﴾.

- التنكير للإبهام فى الوصف، أى: وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما.

- تأكيد المرح بما يشبه الذم، فى قوله تعالى ﴿ وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ﴾ وهو أن يستثنى من صفة ذم منفية صفة مدح. أو: أن يثبت لشئ صفة مدح، ويؤتى بعدها بأداة الاستثناء، تليها صفة مدح أخرى.

- التعبير بلفظ المضارع، فى قوله تعالى ﴿ إلا أن يؤمنوا ﴾ مع أن الإيمان قد وجد منهم فى الماضى، لإرادة الاستمرار والدوام عليه. فإنهم ما عذبوهم لإيمانهم فى الماضى، بل لدوامهم عليه فى الآتى، ولو كفروا فى المستقبل لم يعذبوا على ما مضى، فكأنه قيل: إلا أن يستمروا على إيمانهم.

- وصفه تعالى بكونه " عزيزا حميدا " (له ملك السموات والأرض): للإشعار بمناط إيمانهم وموجبه.

- تأخير صفة الملك عن (العزيز الحميد): لإفادة أن الملك التام لا يحصل إلا عند حصول الكمال فى القدرة التي دل عليها (العزيز) وفى العلم التام الذى دل عليه (الحميد) لأن من لم يكن تام القدرة والعلم... لا

---

(١) مقام الأهرام ٢٠٠٨/١٠/٢٠ م.

يمكنه أن يفعل الأفعال الحميدة.

- إيراد (ثم) فى قوله تعالى ﴿ ثم لم يتوبوا ﴾ إشعارا بكمال حلمه وكرمه، حيث لم يعجل فى القهر ويقبل التوبة، وإن طالت مدة الحوبة.

- الطباق بين (يبدئ ويعيد).

- المقابلة بين مصر المجرمين ومصير المؤمنين فى قوله تعالى: ﴿ إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات... ﴾ الآية، وقوله ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات... ﴾ الآية.

- تأخير (ثمود) عن (فرعون) مع تقدمهم على فرعون زمانا، فى قوله (فرعون وثمود) لرعاية الفواصل.

- تنكير التكذيب فى قوله تعالى ﴿ بل الذين كفروا فى تكذيب ﴾ لإفادة التعظيم، كأنه قيل: ليسوا مثلهم فى ذلك، بل هم أشد منهم فى الكفر والطغيان والتكذيب.

- المجاز المرسل أيضا فى قوله ﴿ بل الذين كفروا فى تكذيب ﴾ علاقته الحالية، لأن التكذيب معنى من المعانى، ولا يحل الإنسان فيه، وإنما يحل فى مكانه، فاستعمال التكذيب فى مكانه مجاز مرسل، أطلق فيه الحال وأريد المحل، فعلاقته الحالية.

- الاستعارة التمثيلية: فى قوله تعالى ﴿ والله من ورائهم محيط ﴾ حيث مثل عدم نجاتهم من بأس الله بعدم فوات المحاط به عن المحيط الذى سد عليه مسلكه، بحيث لا يمكنه الهرب منه[1].

---

(١) ينظر: حدائق الروح والريحان ٣١/٣١٠ - ٣١٣.

ثبت المراجع

١- الإتقان فى علوم القرآن – السيوطى – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.
٢- إرشاد العقل السليم – أبو السعود العمادى.
٣- أسرار ترتيب القرآن – السيوطى –
٤- البرهان فى علوم القرآن – الزركشى – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.
٥- البحر المحيط – أبو حيان –
٦- التحرير والتنوير – الطاهر بن عاشور.
٧- تفسير البغوى.
٨- تفسير البضاوى.
٩- التفسير الشامل.
١٠- تفسير القرآن العظيم – ابن كثير –.
١١- التفسير القرآنى للقرآن – عبد الكريم الخطيب –.
١٢- التفسير الكبير – الرازى.
١٣- تنوير الأذهان.
١٤- التيسير فى أحاديث التفسير.
١٥- جامع البيان – الطبرى.
١٦- الجامع لأحكام القرآن – القرطبى.
١٧- الجواهر فى تفسير القرآن الكريم – طنطاوى جوهرى
١٨- حاشية الصاوى على الجلالين.
١٩- حدائق الروح والريحان.
٢٠- الدر المنثور – السيوطى –

٢١- روح المعانى – الألوسى –
٢٢- سنن الترمذى.
٢٣- صحيح مسلم.
٢٤- فتح الرحمن.
٢٥- فتح القدير.
٢٦- الفتوحات الإلهية.
٢٧- فى ظلال القرآن – سيد قطب –.
٢٨- الكشاف – الزمخشرى –.
٢٩- مجمع البيان.
٣٠- مراح لبيد.
٣١- مسند الإمام أحمد.
٣٢- معانى القرآن – الفراء.
٣٣- المفردات – للراغب الأصفهانى.
٣٤- من أسرار القرآن – د/ زغلول النجار –
٣٥- الميزان فى تفسير القرآن.
٣٦- نظم الدرر – البقاعى –
٣٧- النكت والعيون – الماورى.